سلسلة البحوث العلمية المحكمة (٤٢)

علم المكاشفة

في إحياء علوم الدين

دراسة نقدية

تأليف

أ. د. عبد الله بن دجين السهلي

أستاذ العقيدة والمذاهب بجامعة الملك سعود

كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

© دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السهلي، عبدالله دجين
علم المكاشفة في إحياء علوم الدين؛ دراسة نقدية، /
عبدالله دجين السهلي، الرياض ١٤٣٦هـ
٩٦ ص؛ ١٧×٢٤سم
ردمك: ١-٥٦-٨١٥٥-٦٠٣-٩٧٨
١. التصوف الإسلامي ٢. الأخلاق الإسلامية
٣. الوعظ والإرشاد أ. العنوان
ديوي٢٦٢ ١٤٣٦/٣٨٥٧

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٨٥٧هـ
ردمك: ١-٥٦-٨١٥٥-٦٠٣-٩٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٩١٤٧٧٦- ٤٩٦٨٩٩٤ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣
E-mail eshbelia@hotmail.com

سلسلة البحوث العلمية المحكمة
[٤٢]

علم المكاشفة في إحياء علوم الدين

دراسة نقدية

إعداد
أ. د. عبدالله بن دجين السهلي
أستاذ العقيدة والمذاهب بجامعة الملك سعود
كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

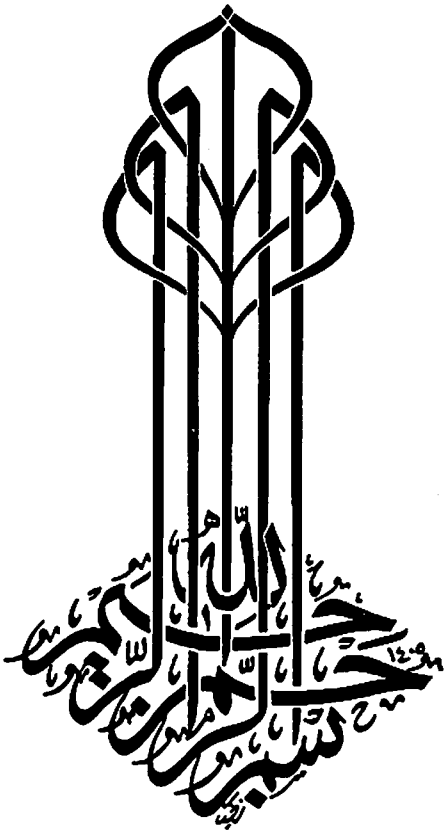
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا.... أما بعد:

فإن من أشهر وأهم كتب الصوفية كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي؛ حتى زعم بعض غلاة الصوفية فيه أنه: «لو عدمت كتب الإسلام، وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب»، وأنه: « يكاد الإحياء أن يكون قرآناً »[1].

ومن أهم القضايا التي أوردها الغزالي في الإحياء منهج وافد خطير في تاريخ التصوف، احتفى به الغزالي كثيراً في هذا الكتاب، لكن فرقه وشتته في مواضع منه، دون أن يفرده في موضع وتحت عنوان، بل لم يذكره في كتاب العلم، ولا في أول الكتاب، وفي مواضع أخرى زعم أنه سر لا يمكن البوح به، ولا يجوز تعريفه، هذا العلم هو علم المكاشفة.

لكن الغزالي رحمه الله لعله نسي، فقد ذكر فضل هذا العلم وعرف به وبأدلته وأمثلته وأطال في مواضع، وأغلب ذكره لهذا العلم في وسط إحياء علوم الدين وفي غير مظانه، يقول رحمه الله: « في كتاب المحبة، وفي كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب التفكر وكتاب

---

(١) انظر: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروس ملحق بالإحياء جـ٥/ ١١، وقد نسب العيدروس هذه المقولات للإمام النووي ولم أجد هذا القول في كتب النووي، ولا في مصادر متقدمة، والسبكي مع شدة تعصبه لم يذكره، وقد أجاب النووي ـ لما سئل عن صلاة الرغائب ـ فقال: «هي بدعة قبيحة منكرة أشد إنكار» ثم قال: «ولا يغتر بكثرة الفاعلين لها في كثير من البلدان، ولا بكونها مذكورة في قوت القلوب، أو إحياء علوم الدين، ونحوهما، فإنه بدعة باطلة » فتاوى الإمام النووي ص٤٠، والعيدروس في فضائل الإحياء نسب المقولة الأولى لأبي محمد الكازروني وأظنه ـ أي العيدروس ـ أول من زعم هذه الدعوى.

الشكر، إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله، ويحصل به التنبه على الجملة، وكمال المعرفة وراءه، فإن هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة»[١].

أهمية الموضوع:

١) الكشف الصوفي مصدر وثيق للعلوم والمعارف عند الصوفية، بل هو غاية لذاته عندهم، وهدف عباداتهم، وهو المصدر الأول للتلقي عندهم[٢].

٢) علم المكاشفة من مصادر تلقي الدين عند الصوفية، وهو أهم مسائل الاعتقاد إذ تقرر العقيدة عن طريق هذا المنهج، وهو منهج وافد خطير ظهرت نتائجه عند الصوفية المتأخرين.

٣) تبرز أهمية هذا البحث، من أهمية هذا المنهج من خلال هذا الكتاب المهم أيضاً، فكتاب إحياء علوم الدين للغزالي من أهم كتب الصوفية، وعلم المكاشفة أهم مصادر التلقي عندهم.

٤) آراء الغزالي في علم المكاشفة من إحياء علوم الدين لها انتشار كبير في المواقع الإلكترونية[٣]، مما يوجب الرد عليها.

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٥٠٣.

(٢) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص١٨٧، ١٩٢.

(٣) انظر المواقع التالية:

http://www.haldun.org/13-categorie-1121271.html.

منتديات أبو الحسن الإسلامية:

http://alshazlia.net/vb/showthread.php?t=18.

رباط الفقراء إلى الله بطيبة الطيبة:

.http://www.rubat.com/phpbb/viewtopic.php?p=40729
http://www.mekkaoui.net/MaktabaIslamya/Islam/3olomDinne/039.htm.

منهج البحث:

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد التزمت بما ورد في إحياء علوم الدين للغزالي، وبلفظ المكاشفة ومرادفاتها مثل الكشف والمكاشفات والمكاشف وغيرها.

وجمع أقوال الغزالي في علم المكاشفة كاف لبيان بطلانها، فالغزالي ادعى أن علم المكاشفة سر لا يجوز البوح به ولا التأليف فيه، لكن بعد جمع كلامه في موضوعات المكاشفة وأمثلتها وغير ذلك يتضح مراده، لذلك لا أتوسع في الرد والمناقشة حتى لا يطول البحث، خاصة أنه يقدم للمتخصصين.

خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد وأربعة مباحث، وفي كل مبحث عدة مطالب، على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف علم المكاشفة وموضوعاته عند الغزالي.

المطلب الأول: أقسام العلوم عند الغزالي.

المطلب الثاني: نقد تقسيم الغزالي للعلوم.

المطلب الثالث: تعريف علم المكاشفة عند الغزالي.

المطلب الرابع: نقد تعريف علم المكاشفة عند الغزالي.

المبحث الثاني: أهم موضوعات علم المكاشفة عند الغزالي.

المطلب الأول: التوحيد سر في علم المكاشفة عند الغزالي.

المطلب الثاني: سر القدر من علم المكاشفة عند الغزالي.

المطلب الثالث: سر القلب والروح من علم المكاشفة عند الغزالي.

المبحث الثالث: علم المكاشفة والنبوة عند الغزالي.

المطلب الأول: تشابه المكاشف والنبي عند الغزالي.

المطلب الثاني: الوحي للمكاشفين عند الغزالي.

المطلب الثالث: نقد أقوال الغزالي في التسوية بين المكاشفة والنبوة.

المبحث الرابع: أدلة علم المكاشفة وأمثلته عند الغزالي.

المطلب الأول: أدلة علم المكاشفة عند الغزالي ونقدها.

المطلب الثاني: أمثلة علم المكاشفة عند الغزالي ونقدها.

المطلب الثالث: الرد الإجمالي على الغزالي في المكاشفة.

والله أسأل التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أخوكم

أ.د. عبدالله بن دجين السهلي

البريد الإلكتروني

dr.aalsahli@hotmail.com

* * * * *

تمهيد

ويتضمن التعريف بأبي حامد الغزالي وكتابه إحياء علوم الدين والمكاشفة لغة واصطلاحًا باختصار.

أولاً: أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ):

من أعلام الأشعرية المتفلسفة الكبار، ومن الشخصيات المضطربة، تابع القشيري في ربط المذهب الأشعري بالتصوف، وهو أول من نقل التصوف من التصوف المعروف قبله إلى تصوف فلسفي إشراقي، وتابعه من جاء بعده من الأشاعرة[١]، وأول من أدخل المنطق عند الأشعرية وألف فيه كتباً مستقلة، أو ضمن أصول الفقه[٢]، وأول من أدخل المنطق على أصول الفقه، تابع ابن سينا في المنطق متابعة تامة، وبدون انتقادات[٣].

والنقاط التالية توضح شخصية الغزالي:

(أ) مفتاح معرفة شخصية الغزالي أمران: أولهما زعمه أن لكل رجل كامل ثلاث عقائد، وثانيهما: جمع أقواله ولمحاته التي يشير دائماً إلى سريتها والضن بها[٤]، ودونهما لا يمكن الحكم عليه.

(ب) من كتب الغزالي الفلسفية "مشكاة الأنوار" و"معارج القدس" وغيرهما[٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والغزالي في كلامه مادة فلسفية كبيرة بسبب كلام ابن سينا في الشفا وغيره» [٦]، وقد أودع في كتبه من معاني كلام الفلاسفة، وغير عبارته، وعبر عنه

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٢/ ٦٥٣، ٦٥٤، وعلم الملل ومناهج العلماء فيه ص٢٧٢، وانظر كلامه عن الكشف في إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٢.

(٢) المستصفى في علم الأصول جـ١/ ٣٠، ومقدمة محك النظر د. رفيق العجم ص٢٢-٢٣.

(٣) تطور المنطق العربي ص٣٧٩، ومنطق العرب ص٣٤-٣٥، وأساسيات علم المنطق ص١٨٧.

(٤) ميزان العمل للغزالي ص١٣٤-١٣٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٢/ ٦٥٥.

(٥) موقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٢/ ٦٣٩-٦٤١.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٦/ ٥٣.

بعبارة المسلمين، حتى صنف متابعة لهم "المضنون به على غير أهله"، وفيه تحسين دعاء الأموات، والتوجه للقبور[١].

(جـ) من أقوال الغزالي الفلسفية الخطيرة ذكره لخصائص النبوة على طريقة الفلاسفة، الذين يقولون: إن النبوة مكتسبة، ومنها ميله إلى تأويل عذاب القبر؛ وعذاب النار ونعيم الجنة؛ بتأويلات قرمطية باطنية، ولذلك الغزالي لا يصرح للعوام بتبني الفلسفة[٢]، وقوله بوحدة الوجود، وتمهيده الطريق لمن جاء بعده للتصريح بها[٣].

وقد تاب من ذلك رحمه الله[٤].

ثانياً: إحياء علوم الدين:

أهم كتب الغزالي الصوفية، ويعتبر عمدة الصوفية، بل قد يسمى مصحف الصوفية[٥]، نقل غالبه عن قوت القلوب لأبي طالب المكي[٦]، وخلط ذلك بما نقله عن

---

(١) المضنون به على غير أهله ضمن مجموعة رسائل الغزالي ص١١٣، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٤/ ٦٥، والرد على المنطقيين ص ١٩٤.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٢/ ٦٥٧، ٦٦٣.

(٣) رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي جمع د. موسى الدويش ص٣٧، ٣٨.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٩/ ١٥٨، والرد على المنطقيين ص١٦٤.

(٥) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروس ملحق بالإحياء جـ٥/ ١١، وإحياء علوم الدين ص٧٣، ومنهج البحث عند الغزالي ص٣٩، والغزالي د.الشرباصي ص١٢٣، ١٤٢.

(٦) الفتاوى الكبرى جـ٥/ ٥٥٦، وجـ٢/ ١٩٧، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١٠/ ٥٥١، وطبقات الشافعية الكبرى جـ٦/ ٢٤٧، ومن قضايا التصوف ص١٧٨، ودائرة المعارف الإسلامية جـ١١/ ٧١، والغزالي د.أحمد الشرباصي ص١٦٨، ١٦٩، وتأريخ التراث العربي/ سزكين المجلد الأول جـ٤/ ١٦٩، وتأريخ الأدب العربي القسم الثاني٤٧٢، وقضية التصوف المدرسة الشاذلية د. عبد الحليم محمود ص١٦٨، والموسوعة الصوفية ص٢٦١، والتصوف بين الحق والخلق ص١٩٩، والفلسفة الصوفية في الإسلام ص١٦٢، والفلسفة النورانية عند الغزالي ص٩٤، ص١٨٤، ومقدمة العقل وفهم القرآن ص٨٨ وغيرهم.

ابن سينا[١]، ففيه آثار فلسفية خطيرة وكثيرة، وأحاديث موضوعة وضعيفة وتأويلات باطلة كما سيأتي.

وقد أشار إلى نقله عن قوت القلوب لأبي طالب كثير من الباحثين، قال محمود عرنوس: «إن الغزالي كاد ينقل قوت القلوب لأبي طالب المكي بنصه، في كتاب الإحياء»[٢]، وقال حسين القوتلي: «رأيت أن أقارن بين المكي والغزالي فيما أورده كل منهما عن الشكر، فاتضح لي أن الغزالي تبع المكي فعلاً في كل شيء»، وقال: « صحيح أن الغزالي أخذ أكثر كتابه عن قوت القلوب، وليس له في كثير من المواطن إلا البسط والمزيد من التنظيم، والتقسيم»[٣].

وقال د. محمد الجليند: «ومن أهم مصادر الغزالي في هذا الطريق قوت القلوب لأبي طالب المكي، الذي لا يصعب على القارئ معرفة أوجه الشبه القوية بينه وبين الإحياء للغزالي في كل باب من أبوابه»[٤]، وأقوال الناس في أثر القوت على الإحياء كثيرة جداً[٥].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٩٤، وقارن بالإشارات والتنبيهات جـ٤/ ٥٩، وإحياء علوم الدين جـ١/ ٣٢٠، وقارن بالإشارات والتنبيهات جـ٤/ ٤٧- ٤٨، وإحياء علوم الدين جـ٣/ ٣١- ٣٢، وجـ٣/ ٥٠٣، وجـ٤/ ٢١٧، ٣٠٥، وقارن بالإشارات والتنبيهات جـ٤/ ٨٦-٨٨، و جـ٤/ ١٦٠، و إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٦ وقارن بآراء المدينة الفاضلة ص١٤، ١٧٧، والإشارات والتنبيهات جـ٤/ ٣٢ .

(٢) حاشية الاكتساب للإمام محمد الشيباني ت/ محمود عرنوس ص٥٣.

(٣) مقدمة العقل وفهم القرآن ص٨٨.

(٤) من قضايا التصوف ص١٧٨.

(٥) انظر: دائرة المعارف الإسلامية جـ١١/ ٧١، والغزالي تأليف د.أحمد الشرباصي ص١٦٨، ١٦٩، وتأريخ التراث العربي/ سزكين المجلد الأول جـ٤/ ١٦٩، وتأريخ الأدب العربي القسم الثاني٤٧٢، وقضية التصوف المدرسة الشاذلية د. عبد الحليم محمود ص١٦٨، والموسوعة الصوفية ص٢٦١، والتصوف بين الحق والخلق، تألف محمد شقفه ص١٩٩، والفلسفة الصوفية في الإسلام ص١٦٢، والفلسفة النورانية عند الغزالي د. زكريا بشير إمام ص٩٤، ص١٨٤، وغيرهم.

وقد أشار الغزالي إلى نقله عن أبي طالب في مواضع من الإحياء[١]، وهي إشارات عابرة، لا تبين حجم النقل الكبير جداً عن أبي طالب، والذي لا يتعدى في أحيان كثيرة تعديل العنوان، وقد ضربت بعض الأمثلة في كتابي " السالمية" وقارنت بين بعض الكتب والأبواب[٢]، قال محمد شقفه عن القوت: «كان نبراس الغزالي، وقد نقل كثيراً من مباحثه في كتاب الإحياء دون أن يشير إلى ذلك »[٣].

وقد رد على الغزالي في إحياء علوم الدين جمع من أهل العلم فمن المؤلفات التي أفردت في الرد على الإحياء "إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء" لابن الجوزي، و"القول المبين في التحذير من كتاب إحياء علوم الدين" للشيخ العلامة عبد اللطيف، و"فجر الساهد وعون الساجد في الرد على الغزالي أبي حامد" تأليف عبد السلام علوش، و"العقيدة السلفية" الشيخ محمد المغرواي، و"وقفات مع إحياء علوم الدين" تأليف عبد الرحمن دمشقية، و"كتاب إحياء علوم الدين في ميزان العلماء" بقلم علي حسن عبد الحميد، فهذه بعض الكتب المفردة، وذكر الذهبي في "السير" جملة من الردود عليه، أما الفصول والأبواب، فيصعب حصرها.

ثالثاً: المكاشفة لغة واصطلاحًا:

١) المكاشفة لغة:

الكشف لغة: رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه، وكشف الأمر يكشفه كشفاً: أظهره[٤].

---

(١) الإحياء جـ١/ ١٧١، ٤٧٧، ٥١٢، ٥٣٥، وجـ٢/ ٣٨٩.

(٢) انظر: السالمية جـ٣/ ٨٢٧-٨٢٩.

(٣) التصوف بين الحق والخلق له ص١٩٩، وقد نقل الغزالي كتاب "تهذيب الأخلاق" لابن مسكوية ت٤٢١هـ في كتبه ولم يشر لذلك. انظر: مقدمة بغية المرتاد د. موسى الدويش على بغية المرتاد ص١٠٧.

(٤) لسان العرب جـ٩/ ٣٠٠ (كشف).

٢) المكاشفة اصطلاحاً:

الكشف: في المصطلح الشرعي: هو كرامة من الكرامات للمؤمن الصالح الملتزم بالكتاب والسنة غير المبتدع، وعلى غير عادة مستمرة، وعرَّفها البعض بأنها حالة من الشفاف الروحي يصل إليها الإنسان الصالح المؤمن حقاً، فينكشف له بها بعض أمور الغيب[١].

ويعرف الصوفية الكشف بأنه رفع الحجاب[٢].

وفي المصطلح الصوفي: تعني رفع الحجب عن قلب الصوفي وبصره بعد اتحاده مع الله، ليعلم صاحب الكشف بعد ذلك كل ما يجري في الكون، أو أن يكشف للصوفي عن معان جديدة في القرآن والسنة والآثار فيما يعرف بعلم الحقيقة التي لا يعلمها علماء الشريعة أو علماء الظاهر[٣].

والكشف الصوفي جنس تحته أنواع، وكل نوع يحتمل أنواعاً ودرجات، ويتناول الكشف عن الأمور الشرعية والكونية، وكل ما يصح أن يكون موضوعاً للمعرفة، مثل رؤية النبي ﷺ بعد موته والخضر والإلهام والفراسة والهواتف والإسراءات والمعاريج والرؤى وغير ذلك[٤].

لكن تركيز الغزالي هنا على الكشف الحسي: ومعناه الكشف عن حقائق الوجود، من العرش إلى القرش، بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر، وهو المراد

---

(١) الموسوعة الميسرة جـ٢/ ١١٢٩.

(٢) التعريفات للجرجاني ص١٥١.

(٣) الموسوعة الميسرة جـ٢/ ١١٣٠.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١١/ ٣١٣، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص١٨٧.

بالكشف عند الإطلاق[١]، أما الأنواع الأخرى فقد ذكرها الغزالي دون أن يدخلها تحت الكشف، فهذا الكشف الحسي قد يكون إلهاماً [٢]، أو خطاباً من الله تعالى مع الرؤية أو دونها، أم من الملك، أو من الخضر، لذا اقتصر على الكشف الحسي، دون الكلام على هذه الأنواع، لأن المراد الكشف الذي حصل، وقد عرف الغزالي الكشف بأنه: « كشف المعلوم فقط»[٣]، مع أنواع المكاشفة الكلام عليها يطول البحث كثيراً.

* * * * *

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص١٩٢، ٣٠٤.

(٢) إحياء علوم الدين: الإلهام جـ٣/ ٢٢-٢٣، وخطاب الرب تعالى مع الرؤية جـ٥/ ٧٩، والملك جـ٣/ ٣١-٣٢، والخضر جـ٥/ ٧٨.

(٣) إحياء علوم الدين جـ١/ ١٨.

المبحث الأول
تعريف علم المكاشفة وموضوعاته عند الغزالي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول
أقسام العلوم عند الغزالي

يقسم أبو حامد الغزالي العلوم إلى قسمين:

١) علم المعاملة:

وينقسم إلى علم ظاهر، وهو العلم بأعمال الجوارح، وعلم باطن وهو أعمال القلوب.

٢) علم المكاشفة:

وأهمها علم المكاشفة، يقول الغزالي: « العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة، وأعنى بعلم المكاشفة ما يطلب به كشف المعلوم فقط، وأعنى علم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به»[(١)]، ويقول «العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة»[(٢)]، ويقول أيضاً:« العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة، وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة، فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل، ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل»[(٣)].

ويقول: «علوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة، كتلازم الفرع والأصل، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر، وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة التابع، وعلوم المعاملة

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١/ ١٨.

(٢) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣١.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٤٧٥.

إذا لم تكن باعثه على العمل فعدمها خير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها»[١].

ويقسم الغزالي العلوم ثلاثة أقسام حسب طريقة حصولها، فيقول: « اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية - وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال - تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم.

فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاماً، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً.....

والأول: يسمى إلهاماً ونفثاً في الروع.

والثاني: يسمى وحياً وتختص به الأنبياء.

والأول يختص به الأولياء والأصفياء.

والذي قبله - وهو المكتسب بطريق الاستدلال - يختص به العلماء»[٢].

وفي هذا الموضع ذكر الغزالي الإلهام مكان الكشف، ولاشك أن الإلهام يدخل تحت علم المكاشفة[٣]، ولذا عرفه بأنه: يهجم على القلب من حيث لا يدري.

❁❁❁

المطلب الثاني
نقد تقسيم الغزالي للعلوم

هذا التقسيم من الغزالي باطل، وجوابه من وجوه، بعضها سيأتي فيما بعد، منها:

أولاً: رد أهل العلم مغالاة الغزالي ومن سبقه في المكاشفة، فقال ابن الجوزي: «وصنف أبو طالب قوت القلوب... وردد فيه قول "قال بعض المكاشفين" وهذا كلام

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٤/ ١١.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٢.

(٣) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص١٨٧.

فارغ »[١]، ورد الزبيدي على الغزالي فقال عن النبوة:« وآخر يقول بقول بالمكاشفة والوصول، ويدعي أن معنى النبوة يكتسب بالمعاملة مع الله،.... وعلى هذا أحرق كتاب الغزالي في المغرب بجامع قرطبة الزين على رؤوس الأشهاد، أخبرني من حضر، وقيل وجد فيه ما يقتضي أن النبوة مكتسبة، فاقتضى ذلك ونحوه إحراقه»[٢].

ثانياً: هذه الدعوى من الغزالي أصل باطل لمن جاء بعده من الزنادقة كابن الفارض وابن عربي وغيرهم الذين أفرطوا فيه إفراطاً شديداً، وقد جر هذا المنهج على المسلمين بلاء كبيراً، وهو من أصول الإلحاد، فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات، ومضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء[٣]، حتى ادعى بعضهم ما هو أعظم من النبوة، وسيأتي بيانه.

ثالثاً: سبب تقسيم العلوم عند الغزالي يعود إلى اعتبار الناس عنده عواماً وخواصاً، فهو يهمس في أذن الخواص ما يحاول إخفاءه عن العوام[٤].

وإذا صنف كتباً للخواص في المعرفة حجبها عن العوام وسماها بـ"المضنون به على غير أهله" فالعوام عنده لا يليق بحقهم إلا علوم الظواهر كالحث على العبادات وغير ذلك، أما الخواص فإنه يجوز إطلاعهم على العلوم الكشفية، كالإطلاع على حقيقة النبوة وكيفية سلوك الوحي ومعرفة درجاته، وهذه من العلوم التي لا يجوز أن تسطر في كتب العامة ولا يُصَرَّح بها أمامهم!.

---

(١) تلبيس إبليس ص١٦٩.

(٢) رسالة في حفظ النبوة ورقة ٥٣ أ، ب.

(٣) درء التعارض جـ٥/ ٣٤٨، ومنهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة ص١٠٦.

(٤) الكشف عن حقيقة كتاب إحياء علوم الدين جـ٢/ ٣٠٥.

وهذا التقسيم قال به الفلاسفة قبل الغزالي، حيث يقسمون الناس إلى أهل البلادة – وهم العوام- وأهل البصيرة والذكاء – وهم الخواص-[١].

ولذا مفتاح معرفة شخصية الغزالي أمران: أولهما زعمه أن لكل رجل كامل ثلاث عقائد، وثانيهما: جمع أقواله ولمحاته التي يشير دائماً إلى سريتها والضن بها[٢]، ودونهما لا يمكن الحكم عليه.

رابعاً: بعض ما ذكر من هذا العلم أخذه من الفلاسفة، ولم يكاشف به كما زعم، وسنثبت ذلك من خلال الإحالة إلى مواضعها في كتب ابن سينا خاصة "الإشارات والتنبيهات"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأما التي يسميها الغزالي علوم المكاشفة، ويرمز إليها في الإحياء، ففيها يستمد من كلام المتفلسفة وغيرهم، كما في مشكاة الأنوار والمضنون به على غير أهله وغير ذلك، وبسبب خلطه التصوف بالفلسفة كما خلط الأصول بالفلسفة»[٣]، والجزء الآخر نقله من "قوت القلوب" لأبي طالب المكي، قال د. محمد الجليند: « ومن أهم مصادر الغزالي في هذا الطريق قوت القلوب لأبي طالب المكي، الذي لا يصعب على القارئ معرفة أوجه الشبه القوية بينه وبين الإحياء للغزالي في كل باب من أبوابه»[٤]، وأقوال الناس في أثر القوت على الإحياء كثيرة جداً كما تقدم.

خامساً: ليس النزاع في وقوع المكاشفة فهي ثابتة، لكن النزاع في جانبين:

أحدهما: في الصواب والخطأ، فإن هذه المكاشفات تحصل للمسلم والكافر، ولذا ما يقع لأهل القلوب من جنس المخاطبة والمشاهدة ففيه صواب وخطأ، وإنما يُفرق بين صوابه وخطئه بنور النبوة.

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف ص١٦٧.

(٢) ميزان العمل للغزالي ص١٣٤-١٣٥، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة جـ٢/ ٦٥٥.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ص١٣٥، وانظر: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية ص١٠.

(٤) من قضايا التصوف ص١٧٨.

قال بعض الشيوخ ما معناه: قد ضُمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة، ولم تُضمن لنا العصمة في الكشوف[١].

وثانيهما: قلة هذه المكاشفات، بينما يزعم الصوفية أن المحدثين موجودون في الأمة بكثره، ويروي الغزالي الحديث معكوساً بلفظ:« إن من أمتي محدثين ومكلمين، وإن عمر منهم »[٢]، وسيأتي الكلام عليه في نقد أدلة الغزالي.

سادساً: لا توجد فروق بين علم المكاشفة والوحي عند الغزالي، وسيأتي الكلام عليها في مطلب مستقل.

***

المطلب الثالث
تعريف علم المكاشفة عند الغزالي

يرى أبو حامد الغزالي أن علم المكاشفة سر لا يمكن تعريفه، ولا التأليف فيه، يقول رحمه الله: «والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب،.... وعلم المعاملة طريق إليه، ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه، وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، والعلماء ورثة الأنبياء، فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء»[٣]، ويقول عن علم المكاشفة « وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار»[٤]،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل جـ٥/ ٣٤٩.

(٢) الإحياء جـ٣/ ٢٩، وقد نقله بهذا اللفظ من قوت القلوب جـ٢/ ٢٢٠.

(٣) إحياء علوم الدين جـ١/ ١٨.

(٤) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٨-٣٩.

ويقول: «أنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات، ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة، وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه»[١].

ويزعم الغزالي أنه لا يعرف علم المكاشفة إلا من عُلِمَ منطق الطير، فيقول: « فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات، وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها، ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع في السير فضلًا عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير»[٢].

وفي بعض المواضع يشير إلى علم المكاشفة في ذلك الموضوع، فعلم المكاشفة عند الغزالي في التوحيد وهو سر[٣]، ويعني به الحلول، وفي القدر[٤] ويعنى به الجبر كما سيأتي بيانها في موضعها.

ومع هذا التشديد على هذا السر العظيم في نظر الغزالي، ومنعه من التأليف فيه، لكنه يوضح طريق الوصول إليه، بقوله « ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه، فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة، وفي كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويحصل به التنبه على الجملة، وكمال المعرفة وراءه، فإن هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة»[٥]، وهذا يؤكد ما سبق ذكره من تقسيم الناس.

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٤٦٧-٤٦٨.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٤/ ١١٧.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣٠٤.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٥/ ٧٥-٧٦.

(٥) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٥٠٣.

بل يعود الغزالي ويعرف بعلم المكاشفة في مواضع كثيرة من الإحياء، بل ويذكر أمثلة له، كما سيأتي في المباحث التالية، ويتجاوز هذا كله وينسب إلى الرسول ﷺ تعريف علم المكاشفة في حديث موضوع، فيقول: « هذا هو العلم الخفي الذي أراده ﷺ بقوله: "إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالماً آتاه الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه "»[١].

ويعرفه بقوله: «أعني علم المكاشفة: فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة، كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة»[٢]، ويقول « بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكاشفين بنور الحق»[٣]، ويقول: « نعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان، الذي لا يشك فيه، وهذا ممكن في جوهر الإنسان؛ لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا»[٤].

ويقول أيضاً في تعريفه: « أعنى بعلم المكاشفة ما يطلب به كشف المعلوم فقط»[٥].

وعلى هذا يتضح مراد الغزالي بالكشف الحسي: ومعناه الكشف عن حقائق الوجود، من العرش إلى القرش، بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٩، والحديث موضوع سيأتي الحكم عليه في أدلة المكاشفة.

(٢) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٨.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣١٦.

(٤) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٩.

(٥) إحياء علوم الدين جـ١/ ١٨.

(٦) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص١٩٢، ٣٠٤.

ومن الألفاظ المرادفة لعلم المكاشفة عند الغزالي: علم الباطن، يقول الغزالي: « علم المكاشفة هو علم الباطن»[١]، ويقول: «روى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: (العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع)، وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال: هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً»[٢]، والعلم اللدني[٣].

وللغزالي مزاعم ودعاوى عريضة باطلة حول مكانة علم المكاشفة، فقد زعم أن « السعادة وراء علم المكاشفة»[٤]، وأن علم المكاشفة:« أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى»[٥]، وأن « أفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع من علوم المعاملة»[٦]، بل «علم المكاشفة هو علم الباطن، وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيب منه هو التصديق به وتسليمه لأهله»[٧]، ويزعم أن علم المكاشفة «هو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة»[٨]، وعلم الصحابة رضي الله عنهم[٩].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٨.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩، والحديث لايصح وسيأتي الحكم عليه في أدلة المكاشفة.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣٠.

(٤) إحياء علوم الدين جـ١/ ٨٠.

(٥) إحياء علوم الدين جـ١/ ٧٨.

(٦) إحياء علوم الدين جـ٤/ ١٦٨.

(٧) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٨.

(٨) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٨-٣٩.

(٩) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٥-٣٧.

المطلب الرابع
نقد تعريف علم المكاشفة عند الغزالي

أولاً: الكشف الصحيح: أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ويجرد إرادة القلب له، فيدور معه وجوداً وعدماً، هذا هو التحقيق الصحيح، وما خالفه فغرور قبيح[(١)].

ويُعرف خطأ الكشف بما يلي:

(أ) بمخالفة الكتاب والسنة، والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون، لا يقولون على الله إلا الحق، ولا يتكلمون عنه إلا الصدق، ومن سوى الأنبياء ليس معصوماً، فقد يغلط ويحصل له في كشفه، وحسه، وذوقه، وشهوده أمور يظن فيها ظنوناً كاذبة.

(ب) مناقضته للعقل، إذا أخبر بما يناقض العقل علم بطلانه بصريح العقل علم أنه غالط.

(جـ) مخالفة الحس الظاهر[(٢)].

ثانياً: جميع الأحاديث التي اعتمد عليها الغزالي في تعريف هذا العلم موضوعة، لا يصح الاعتماد عليها، فالحديث الأول: **(إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالماً آتاه الله تعالى علماً منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه)**، ضعيف جداً[(٣)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الغزالي: « يفسره بما يناسب أقواله التي يميل فيها إلى ما يشبه أقوال نفاة

---

(١) مدارج السالكين جـ٣/ ٢٣٦.

(٢) أصول بلا أصول ص١٧٨، وانظر: الجواب الصحيح جـ٤/ ٤٠١-٤٠٢.

(٣) الآلىء المصنوعة للسيوطي جـ١/ ١١٥، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ٢/ ٢٦٢، رقم ٨٧٠: ضعيف جداً، وضعفه العراقي في المغني جـ١/ ٢٣ رقم ٧١، وجاء في الكشف عن حقيقة كتاب إحياء علوم الدين جـ١/ ٥٧: «على وهايته يستدل به، بل ويؤوله بتأويل فاسد».

الصفات من الفلاسفة ونحوهم،... والحديث ليس إسناده ثابتاً باتفاق أهل المعرفة، ولم يرو في أمهات كتب الحديث »[١] .

والحديث الثاني: (العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع) ، هذا الأثر من مراسيل الحسن، وهي ضعيفة عند العلماء، ومعناه غير صحيح، فهو ضعيف سنداً ومتنا[٢].

ثالثاً: التناقض العجيب عند الغزالي، فهو يرى أن هذا العلم للخاصة وليس للعامة، ومن العلوم الخاصة التي يجب المحافظة على سريتها، بل من خداع الغزالي للقارئ أنه لم يعرف بعلم المكاشفة في كتاب العلم أو في أول الكتاب، وإنما تكلم على علم المكاشفة في مواضع متفرقة من الإحياء، بل يرشد القارئ في النصف الثاني من الكتاب إلى تفريق هذا العلم في كتاب المحبة، وكتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر من الإحياء[٣]، ولاشك أن الصوفية يذكرون الحلول عند كلامهم عن المحبة.

رابعاً: جاء التحذير من كتمان العلم في الكتاب والسنة وعن أئمة السنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة الآية: ١٥٩]، فهذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم بأن يبينوا للناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ وهم جميع

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١٣/ ٢٥٩ـ ٢٦٠.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ٨/ ٤١٣ـ٤١٤، الرقم ٣٩٤٥ وقال الألباني: «منكر مرفوعاً»، وانظر: الكشف عن حقيقة كتاب إحياء علوم الدين جـ٢/ ٢٩.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٥٠٣.

الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد[١].

وقال ﷺ: (من كتم علماً يعلمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار)[٢]، وقال عمر بن عبد العزيز: «العلم لا يهلك حتى يكون سراً»[٣]، وقال عمر بن عبد العزيز أيضاً: «إذا رأيت القوم يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»[٤]، وهذا حال الغزالي ومن وافقه.

كما يجب نشر العلم وبذله للناس قال ﷺ: (نضراً الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها)[٥]، قال ﷺ: (وليبلغ الشاهد الغائب)[٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٧٧.

(٢) أخرجه أبو داود في (كتاب العلم، باب كراهية منع العلم) ص٤٠٤ رقم الحديث ٣٦٥٨، وقال الألباني: حسن صحيح، والترمذي في (كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم) ص٤٢٩ رقم الحديث ٢٦٤٩، وصححه الألباني، وابن ماجه في (المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه) ص٤٤رقم الحديث ٢٦٤، وصححه الألباني في الترمذي وابن ماجه، وعمرو عبد المنعم في الطريق إلى العلم ص٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في (كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم) جـ١/ ٥٩.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص٣٥٣، ٣٥٥، ورجال الإسناد ثقات، ماعدا داود بن عمرو الأزدي لابأس به، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ١/ ١٥٣ رقم ٢٥١.

(٥) أخرجه أبو داود في (كتاب العلم، باب فضل نشر العلم) ص٤٠٤ رقم الحديث ٣٦٦٠، والترمذي في (كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع) ص٤٣٠ رقم الحديث ٢٦٥٦، ٢٦٥٨، وابن ماجه في (المقدمة، باب من بلغ علماً) ص٢٢٨، رقم الحديث ٢٣٠، وصححه الألباني فيها كلها.

(٦) أخرجه البخاري في (كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع) جـ١/ ٤٩، رقم الحديث ٦٧.

ولو زعم الصوفية أن هذا من العلم الذي يخص به قوم دون آخرين، فهذا باطل فقد عرف الناس موضوعات هذا العلم وبطلانها ـ كما سيأتي ـ، فلا حجة لهم في ذلك.

رابعاً: ليس النزاع مع الغزالي وغيره في وقوع المكاشفة، وإنما النزاع في الاحتجاج به، فإن الكشف أنواع فمنه النفساني وهو مشترك بين المسلم والكافر، ومنه الرحماني وهو الذي يكون عن طريق الملك، ومنه الشيطاني وهو ما يحصل عن طريق الجن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « فالإخبار بالمغيبات يكون عن أسباب نفسانية، ويكون عن أسباب خبيثة شيطانية وغير شيطانية ويكون عن أسباب ملكية»[1].

وقال ابن القيم: « الكشف الجزئي مشترك بين المؤمنين والكفار والأبرار والفجار كالكشف عما في دار إنسان أو عما في يده أو تحت ثيابه أو ما حملت به امرأته بعد انعقاده ذكراً أو أنثى وما غاب عن العيان من أحوال البعد الشاسع ونحو ذلك فإن ذلك يكون من الشيطان تارة، ومن النفس تارة، ولذلك يقع من الكفار كالنصارى وعابدي النيران والصلبان فقد كاشف ابن صياد النَّبيَّ ﷺ بما أضمره له وخبَّأه فقال له رسول الله ﷺ: (إنما أنت من إخوان الكهان)[2]، فأخبر أن ذلك الكشف من جنس كشف الكهان، وأن ذلك قدره، وكذلك مسيلمة الكذاب مع فرط كفره كان يكاشف أصحابه بما فعله أحدهم في بيته وما قاله لأهله يخبره به شيطانه ليغوي الناس، وكذلك الأسود العنسي، والحارث المتنبي الدمشقي الذي خرج في دولة عبد الملك بن مروان وأمثال هؤلاء ممن لا يحصيهم إلا الله، وقد رأينا نحن وغيرنا منهم جماعة وشاهد الناس من كشف الرهبان عباد الصليب ما هو معروف.

---

(١) الصفدية جـ١/ ١٨٩.

(٢) أخرجه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد) جـ٤/ ٢٢٤٠ رقم الحديث ٢٩٢٤، وليس اللفظ فيه.

والكشف الرحماني من هذا النوع هو مثل كشف أبي بكر لما قال لعائشة ﷺ إن امرأته حامل بأنثى، وكشف عمر ﷺ لما قال يا سارية الجبل – أي الزم الجبل – وأضعاف هذا من كشف أولياء الرحمن»[١].

والكشف الصوفي الشيطاني هو ما أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣] ولعل هذا النوع من التنزّل وإلقاء السمع من الشياطين هو ما ظنه الغزالي وحياً يحصل به سماع المريد لما سمعه موسى، حتى دعا الخلائق إليه بالاجتهاد في تحصيله بالرياضات والتصفيات والخلوات، وليسمعوا الكلام الذي سمعه موسى بن عمران عليه السلام[٢]، ومما يدل على نوع هذا الكشف الموضوعات التي ذكرها الغزالي وزعم أنها سر ـ وسيأتي بيانها ـ فأهمها الحلول والقول بالجبر، ولاشك أن هذه الأقوال من وحي الشياطين[٣].

وهم مثل مايروى عن ابن عباس ﷺ: (جاء رجل إليه، فقال: يا أبا عباس، زعم أبو إسحاق أنه أوحي إليه الليلة يعني المختار بن أبي عبيد فقال ابن عباس: صدق، فنفرت، فقلت: يقول ابن عباس صدق؟ فقال ابن عباس: هما وحيان: وحي الله، ووحي الشيطان، فوحي الله إلى محمد، ووحي الشياطين إلى أوليائهم، ثم قال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام الآية:١٢١])[٤]، وروي مثله عن عبد الله بن عمر، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم[٥].

---

(١) مدارج السالكين جـ٣/ ٢٣٨، وسيأتي الكلام على قصة الصديق والفاروق ﷺ.

(٢) أبو حامد الغزالي والتصوف ص١٧٧.

(٣) القضاء والقدر في الإسلام جـ١/ ١٦-٢١.

(٤) تفسير الطبري جـ٥/ ٣٣٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٢/ ١٦٧.

خامساً: دعوى الغزالي أن الأولياء طائفة من الناس لهم علم خاص هو علم المكاشفة، وتميز عن بقية الناس غير صحيح، فإن أولياء الله ليس لهم شيء يتميزون به عن الناس إلا سلوكهم ونمط علاقتهم بالله وبالناس، فليس لهم لباس معين، ومن هنا فإن أولياء الله يوجدون في جميع أصناف الأمة ما لم يكونوا من أهل البدع والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، كما نجدهم بين صفوف المجاهدين بالسيف المدافعين عن بيضة الإسلام ويوجدون بين الزراع والتجار والصناع، فليست الولاية إذن قاصرة على شخص أو على فرقة بعينها، وإنما قد توجد في أي شخص إذا أخذ سبيله في التقرّب إلى الله بما يحب، وما الناس إلا رجلان، فمؤمن تقي حبيب إلى ربه، وفاجر شقي بعيد عن رضوان الله[١].

سادساً: الصحابة هم أولياء الله لا ريب، وأحب الخلق إلى الله تعالى، وهم أعرف به ممن سواهم – ولا سيما من أدعياء المحبة والعشق الإلهي- وأفضلهم له عبادة، ومما يستدل به على حرصهم على دينه وإجلالهم له أنهم لم يدّعوا هذا النوع من الكشف أو الوحي المناهض لوحي الأنبياء، الناسخ لما نزل عليهم.

بل كانوا يبكون انقطاع الوحي بعد موته ﷺ، ولو كان شيء من ذلك يحصل لهم لما بكوا عليه إذ يستحيل أن يكون بكاؤهم على شيء لم يفقدوه!.

فعن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ: (انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهيا إليها بكتْ، فقالا لها: ما يبكيك؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟ فقالت: إني لا أبكي أني لأعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيّجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها)[٢].

---

(١) من قضايا التصوف ص٢٠٢.

(٢) أبو حامد الغزالي والتصوف ص١٧٠، والحديث أخرجه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن) جـ٤/ ١٩٠٧، رقم الحديث (٢٤٥٤).

وليس علم المكاشفة من علم الصحابة ﷺ ولا عرفوه ولا التابعين لهم بإحسان، وما ذكره الغزالي من دعاوى عريضة، فهذه دعوى كل مبطل.

سابعاً: مما يبين بطلان علم المكاشفة أسباب حصوله فكلها غير مشروعة، فأهمها تصفية القلب[١]، ويكون بالعبادات الصوفية، والتي منها: الانقطاع عن الدنيا كلها[٢]، والعزلة والأذكار البدعية[٣]، والسهر والجوع[٤]، وإذلال النفس والهوان[٥]، وأعجب أسباب الكشف عند الغزالي «الضجعة قبل الصبح سنة... وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب»[٦].

وهذه التصفية بدعية، فإن التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله، ويملأه بما يحبه الله، فيفرغه من عبادة غير الله، ويملؤه بعبادة الله، وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمده القرآن ويقويه[٧].

وأرجح تعريفات الزهد: «هو ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة»[٨]، وليس كل ما تهواه النفس يذم، ولا كل التزين للناس يكره، وإنما ينهى عنه إذا كان الشارع قد نهى عنه[٩].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٤/ ١٦٨، وجـ٥/ ٣٠-٣١، و جـ١/ ٣٨-٣٩، و جـ٣/ ٢٢-٢٣.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٣، وجـ١/ ٣٨٢.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٣-٢٤.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٩٤، وقارن بما ذكر ابن سينا في الإشارات والتنبيهات جـ٤/ ٥٩.

(٥) إحياء علوم الدين جـ٥/ ٧٨-٨١.

(٦) إحياء علوم الدين جـ/ ٤٧٢.

(٧) أصول بلا أصول ص١٩٣.

(٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١١/ ٢٨، ومدارج السالكين جـ٢/ ١٠-١١.

(٩) تلبيس إبليس ص٢٠٧.

وقد أمر الله ﷻ عباده بالأكل من الطيبات، والنبي ﷺ وأصحابه إنما يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً، فإذا وجدوا أكلوا، بل كان ﷺ يأكل أطايب الطعام إذا وجد[١]، والمراد في المطعم تقوية البدن لطاعة الله ﷻ، وقد كثرت ردود السلف عليهم بالقول والفعل[٢].

وأما السهر فقد امتن الله على عباده أن جعل لهم الليل سكناً، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [يونس الآية: ٦٧][٣]، فالسهر المطلق بدعة منهي عنها، مع الحث على قيام بعض الليل.

وأما العزلة فإن الشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة، وجماع ذلك أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها[٤].

والفرق بين عزلة السلف وعزلة الصوفية، أن السلف كانوا يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبد، ولم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق، فهي عزلة عن الشر وأهله وعن مخالطة البطالين، وأما الصوفية فبعضهم اعتزل في جبل كالرهبان، يبيت وحده ويصبح وحده، فاتته الجمعة

---

(١) انظر ما أخرجه البخاري (كتاب الذبائح والصيد، باب: لحم الدجاج) جـ٤/ ١٧٧٥ حديث رقم ٥٥١٧، ٥٥١٨، (كتاب الأطعمة، باب: الحلوى والعسل) جـ٤/ ١٧٤٥ حديث رقم ٥٤٣١، وصحيح مسلم (كتاب الإيمان، باب: ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيراً منها) جـ٣/ ١٢٧٠ حديث رقم ١٦٤٩.

(٢) تلبيس إبليس ص١٥٦.

(٣) انظر ما أخرجه البخاري في (كتاب الصوم، باب: حق الجسم في الصوم) جـ٢/ ٥٨٦-٥٨٧ حديث رقم ١٩٧٥ ورقم١٩٧٧.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١٠/ ٤٢٥-٤٢٦، وجـ١٠/ ٤٠٥.

والجماعة ومخالطة أهل العلم، وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاتهم السعي إلى المسجد وتركوا الكسب، وأكلوا ما لا يحل لهم[١].

وأما ترك الزواج على وجه التعبد فبدعة منهي عنها، وجمهور الفقهاء على أن النكاح مع خوف العنت واجب، ومن غير خوف العنت فسنة مؤكدة[٢].

وأما الضجعة قبل صلاة الصبح فاختلف الناس فيها على أقوال، لكن نهى عنها عائشة وابن عمر رضي الله عنهما، وكرهها جماعة من الفقهاء، وسموها بدعة، وكرهها جماعة لمن فعلها استناناً، واستحبها طائفة على الإطلاق[٣]، وقول الغزالي لا يعرف.

ويظهر بطلان هذا العلم عند الكلام على موضوعاته، وبمقارنته بالنبوة.

* * * * *

(١) تلبيس إبليس ص٢٩٩.

(٢) تلبيس إبليس ص٣٠٤، وانظر ما أخرجه البخاري في (كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح) جـ٤/ ١٦٣٢ رقم الحديث ٥٠٦٣.

(٣) زاد المعاد جـ١/ ٣١٨ـ ٣٢١.

المبحث الثاني
أهم موضوعات علم المكاشفة عند الغزالي

مع أن الغزالي زعم أن علم المكاشفة سر لا يجوز البوح به، إلا أنه ذكر موضوعات هذا العلم في مواضع متفرقة من كتابه الإحياء، وجعل فيها أهم أبواب العقيدة وهما التوحيد والقدر، وهذه أقواله:

المطلب الأول
التوحيد سر في علم المكاشفة عند الغزالي

يرى الغزالي أن أهم موضوعات علم المكاشفة هو توحيد الله تعالى، لكنه غير التوحيد الذي يقول به أهل السنة والجماعة، ولا الذي يقول به أهل الكلام أيضاً، فيقول: إن «كل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم،... فإنه إن كان شاكاً فيه فهو فاسد الدين، وإن كان واثقاً فهو آمن من مكر الله،... فلا ينفك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة، وذلك هو الكبريت الأحمر، وأنّى يتيسر»[(١)]، وهذا التوحيد يصعب الوصول إليه، يقول: «وإذا تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة، فنقول: الأنبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه، ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة، وعقبات شديدة»[(٢)].

وعند تقسيم الغزالي للإيمان، يقول: «ينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وإلى علوم المعاملة»[(٣)].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٢١٧.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٤/ ١٠٨.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٤/ ١٢٧، وانظر: جـ٣/ ٤٧٧.

ويوضح الغزالي التوحيد الذي يعنيه، فيقول: « فأما التوحيد فهو الأصل، والقول فيه يطول، وهو من علم المكاشفة، ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم المعاملة إلا بها فإذن لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة، وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له، فنقول للتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى لب اللب وإلى قشر وإلى قشر القشر، ولنمثل ذلك تقريباً إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا، فإن له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب.

فالرتبة الأولى من التوحيد هي: أن يقول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين.

والثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

والرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحداً، وهي مشاهدة الصديقين، وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً، فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق» ثم يقسم هذه الرتبة إلى أربعة أقسام، والذي يتعلق بعلم المكاشفة الرابع، فيقول: «والرابع: موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد»[1]، وعلى عادة الغزالي في علم المكاشفة يمنع من بيان هذا النوع أو الخوض فيه، فيقول: «فهذه

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣٠٢-٣٠٣.

مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال، فإن قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه، فأقول: أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه»[١]، ويقول: «ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد، واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه، وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله وما أخف مؤنته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم»[٢].

لكنه يحاول الإجابة على بعض الشبهات فيقول: إن التوحيد أن « لا يشاهد سوى الواحد الحق، فإن قلت: كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة، فكيف يكون الكثير واحداً، فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون "إفشاء سر الربوبية كفر " ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة»[٣].

ويحذر الغزالي من إنكار هذا النوع، فيقول: «ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه، وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبيا كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك، وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز، وإلى هذا أشار

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣٠٥.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣١٦.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣٠٤، وهذا الخبر زعم في الإملاء أنه من قول سهل التستري، مع أن الغزالي نقله من أبي طالب المكي من قوت القلوب جـ٤/ ٣٠٥، ولم ينسبه لأحد.

الحسين بن منصور الحلاج، حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال: فيماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل، وقد كان من المتوكلين، فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد!»[١].

وجواب هذه الدعاوى:

١) هذه المزاعم معروفة عند الصوفية، فهم يقولون إن التوحيد سر، ولا يستطيع أحد البوح به، وأن من باح به استحق القتل، وقد نقل الغزالي هذه الدعاوى عن أبي طالب المكي الذي يقول:« ولولا أن التوحيد لم يرسمه عارف قط في كتاب، ولا كشفه علام في خطاب،.... لذكرنا من ذلك ما يبهر العقول ويبهت ذوى المعقول.... وإفشاء سر الربوبية كفر» ثم قال:« وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله أفضل من إحياء غيره»[٢]، ومراده الحلاج فإن بعض الصوفية زعموا أنه أفشى السر فاستحق القتل، وهذا التوحيد عندهم هو الحلول والاتحاد، قال د. محمد الجلنيد عن الغزالي إنه دائما يشير إلى:« أنه ليس كل سر يفشى ولا كل حقيقة تقال وتجلى، وينبغي أن تكون صدور الأحرار قبوراً للإسرار.... إن ورود مثل هذه التحذيرات ـ وما أكثرها تجعل القارئ في حيرة من أمر الغزالي، فهو لاشك يخفي شيئاً عن قارئه»[٣].

ومجمل كلامهم أن التوحيد سر عظيم لا يعرفه كل أحد، ولا يمكن التعبير عنه، وأن من عبر عنه فقد كفر وأشرك، واستحق القتل، وبهذا قال الصوفية[٤].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣٠٥.

(٢) قوت القلوب جـ٢/ ١٤٨-١٤٩، وانظر: الإحياء جـ٤/ ٣٠٤، وقد تقدم نصه.

(٣) من قضايا التصوف ص١٨٤-١٨٧، وأبو حامد الغزالي والتصوف ص١١٨.

(٤) مدارج السالكين جـ٣/ ٥٣٥-٥٣٦، والانحرافات العقدية عند الصوفية جـ١/ ٢١٣.

٢) هذا الزعم بأن التوحيد سر لا يمكن النطق به ولا معرفته، كفر من قائله، لأن الله - تعالى - أخبرنا أنه أنزل الكتاب هدى للناس وبينات فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [البقرة :٩٩]، وامتن سبحانه على عباده بنعمة البيان فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣) التوحيد قد أفصح القرآن عنه جد الإفصاح، بل نقول قولاً كلياً إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[١].

٤) الرمز والإشارة والتعقيد في باب التوحيد الذي لا يكاد أن يفهمه أحد من الناس إلا بجهد وكلفة فليس مما جاءت به الرسل، ولا دعوا إليه[٢]، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم قد تكلموا بالتوحيد ونعتوه وبينوه وأوضحوه وقرروه، بحيث صار في حيز التجلي والظهور والبيان، فعقلته القلوب وحصلته الأفئدة ونطقت به الألسنة،

---

(١) مدارج السالكين جـ٣/ ٤٦٨-٤٦٩.

(٢) مدارج السالكين جـ٣/ ٥٠٧.

وأوضحته الشواهد وقامت عليه البراهين ونادت عليه الدلائل، ولا يمكن أحداً أن ينقل عن نبي من الأنبياء ولا وارث نبي داع إلى ما دعا إليه أنه يعلم توحيداً لا يمكنه النطق به، وأن الله سبحانه أخرسه عن نطقه وأعجزه عن بثه، بل كل ما علمه القلب أمكن اللسان التعبير عنه، وإن اختلفت العبارة ظهوراً وخفاءً[١].

٥) التوحيد السري الذي يخفيه الصوفية هو الحلول والاتحاد أو وحدة الوجود عند المتأخرين، قال د. موسى الدويش عن الوحدة والاتحاد: «هذه الحقيقة بدأت بسيطة عند الصوفية الأوائل الذين بذروا نواتها فتعاهدوها واحداً واحداً، ثم جاء الغزالي بخبرته الفلسفية الباطنية الإشراقية فسقى هذه البذرة حتى تفرعت واستأنس بعض الناس بها، واستظلوا بظلها جهلاً منهم بحقيقتها»[٢]، إلى أن قال: «وبهذا يتضح لنا التدرج الزمني للصوفية من بدايتها حتى مجيء الغزالي الذي مهد الطريق لمن بعده فأفصحوا علانية عن القول بوحدة الوجود»[٣].

❊ ❊ ❊

المطلب الثاني
سر القدر من علم المكاشفة عند الغزالي

يرى الغزالي أن الإيمان بالجبر من علوم المكاشفة، وأن حكايات المكاشفين فيه تطول، فيقول: «وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج، قريب في السعة من بحر التوحيد، فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غامض لا يعقله إلا العالمون، ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره المكاشفون، والحاصل أن الخير والشر مقضي به، وقد كان ما قضى به واجب الحصول

---

(١) مدارج السالكين جـ٣/ ٥٣٥.

(٢) رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ص٣٧.

(٣) رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ص٣٨.

بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره،... ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل ولنرجع إلى علم المعاملة»[١].

ويقول الغزالي: «فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدرات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات، فلنترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فإن الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد»[٢]، ويقول: «فإن قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله تعالى، ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان العبد فاعلاً فكيف يكون الله تعالى فاعلاً، وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون العبد فاعلاً ومفعول بين فاعلين غير مفهوم»[٣].

ويقول: «بهذا يتقرر جميع ما وردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل، وهذا كله يستمد من سر القدر الذى لا رخصة في إفشائه، وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة، ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به، فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل، وكذا من قال إنهما جميعاً منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر، وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه، فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع، فقد قال ﷺ: (القدر سر الله فلا تفشوه)[٤]،

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣٢٠.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣١٦.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣١٦-٣١٧.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء جـ٦/ ١٨٢، والطبراني في المعجم الكبير جـ٩/ ٢٦١ رقم ١٠٦٠٦ بلفظ: (القدر سره الله فلا تكلفوه) عن عيسى عليه السلام، وضعفه الألباني في كتابه "الجامع الصغير وزيادته" رقم الحديث: ٤١٣١، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار جـ٢/ ١١٦٠ ـ ١١٦١ رقم ٤٢١٣.

وذلك يتعلق بعلم المكاشفة»[١].

وقال في تفسير آية الأنفال «إن الله عز وجل قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فظاهره تفسير واضح، وحقيقة معناه غامض، فإنه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر، ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه، ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله عز وجل،.... فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغنى عنه ظاهر التفسير»[٢].

وهذا السر العظيم في نظر الغزالي، كشف من قبله بزمن، ورد عليهم أهل السنة قبل أن يولد الغزالي، وهذا بيانه على النحو التالي:

١) القول بالجبر في القدر، هو المشهور عن كثير من الصوفية المتأخرين وغيرهم، أما أئمة الصوفية والمشايخ المتقدمون فهم على مذهب أهل السنة والجماعة[٣].

نقل ابن الجوزي عن ابن بطه قوله: «وسموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية»[٤]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والذين ادعوا المحبة من الصوفية وكان قولهم في القدر من جنس قول الجهمية المجبرة»[٥]، وقال: «وقد كثر في كثير من المنتسبين إلى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط، من غير شهود الأمر والنهي، والاستناد إليه في ترك المأمور وفعل المحظور، وهذا أعظم الضلال»[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٥/ ٧٥-٧٦.

(٢) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٨٨.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٨/ ٣٦٩.

(٤) تلبيس إبليس ص٢٤٦.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٨/ ٣٦٥.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ٢/ ٣٢٨.

٢) سبب هذا القول عند الغزالي أخذه عن أهل الكلام، فإنه إذا كان «أحدهم قد أخذ عمن يتكلم في إثبات القدر من أهل الكلام أو غيرهم، ويجعل الجميع صادراً عن إرادة واحدة، وليس هنا حب ولا بغض ولا رضا ولا سخط ولا فرح، ولكن المرادات متنوعة، فما كان ثواباً سمي تعليق الإرادة به رضا، وما كان عقاباً سمي سخطاً، فحينئذ مع هذا المشهد لا يبقى عنده تمييز، ويسمون هذا: الجمع والاصطلام»[١]، وهذا باطل.

٣) أن إنكار الاختيار في أفعال العباد نقص في العقل، فنحن نعلم من أنفسنا أن حركتنا ليست كحركة الجماد، الذي لا يملك شيئاً لذاته في تحركه وسكونه، بل نفرق بين الحركات غير الإرادية التي تجري في أجسادنا وبين الحركات الإرادية، والكتاب العزيز مليء بإسناد الأفعال إلى من قاموا بها، كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]، وقوله: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، وغيرها كثير جداً[٢].

٤) استشهاده بآية الأنفال فقد قال به: «طائفة من الجهال[٣]، وذلك أن الله لم يضف الرمي هنا إلى نفسه، لمجرد كونه خالقاً لأفعال العباد، فإن هذا قدر مشترك بين رمي النبي وسائر أفعاله غير الرمي، وبين رمي غيره من الناس وبين أفعالهم، فأفعال العسكرين يوم بدر خلقها الله كما خلق سائر أفعال الحيوان، ولو جاز أن يقال إن الله رمى، لكونه خلق حركة العبد، لقيل أنه يكر ويفر ويركب ويعدو ويصوم ويطوف، ونحو ذلك، لكونه يخلق ذلك...

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ١٩/ ٢٧٧.

(٢) القضاء والقدر للأشقر ص٨٠-٨١.

(٣) استدل بها الاتحادية على مذهبهم، انظر: معجم مصطلحات الصوفية ص ١٨١.

والله تعالى قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ لأن النبي ﷺ أخذ حفنة من تراب وغيره، فرمى بها المشركين فأصابت عيونهم، وهزمهم الله بها، ولم يكن في قدرة النبي ﷺ ذلك، بل الله - تعالى - أوصل ذلك إليهم، والرمي له طرفان حذف بالرمي، ووصول إلى العدو ونكاية فيهم، والنبي ﷺ فعل الأول، والله فعل الثاني، والمعنى ما أوصلت الرمي إذ حذفته، ولكن الله أوصله وهزمهم به ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، ونفى عنه رمياً بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ فكان هذا غير هذا، لئلا يتناقض الكلام»[1].

وهذه الآية نزلت في يوم بدر، قال ابن جرير الطبري: «فأضاف الرمي إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به إلى الذين رموا به من المشركين، والمسبب الرمية لرسوله.

فيقال للمنكرين ما ذكرنا: قد علمتم إضافة الله رمي نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه، بعد وصف نبيه به، وإضافته إليه، وذلك فعل واحد، كان من الله تسبيبه وتسديده، ومن الرسول ﷺ الحذف والإرسال»[2].

ولو كان المراد كما ظنه الغزالي وأمثاله، ممن يحتج بهذه الآية: «على أن الله خالق أفعال العباد،...لساغ أن يقال مثل هذا في جميع أفعال العباد، فيقال: ما ركبت إذ ركبت ولكن الله ركب، وما طفت إذ طفت ولكن الله طاف... وأشباه هذا مما لا يقوله مسلم، ولا عاقل.

ثم إن الله ـ تعالى ـ ذكر هذه الآية لبيان نعمته على نبيه وعلى المؤمنين يوم بدر، وما أيدهم به من النصر، فلو أريد كونه خالقاً لفعله، لكان هذا قدراً مشتركاً بين جميع الناس، بل لا بد أن يكون لرميه خاصة يعجز عنها الخلق، فعلها الله تأييداً لنبيه ونصراً له، وإنعاماً

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص١٤٢.

(٢) تفسير الطبري جـ٦/ ٢٠٢-٢٠٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ٧/ ٣٨٥،وتفسير ابن كثير جـ٢/ ٢٩٥.

عليه وعلى المؤمنين »[١].

٥) كل «دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب ـ تعالى ـ، ومشيئته وأنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير،... وهذا حق، لكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به، وأنها فعل له لا لله، قائمة به لا بالله»[٢]، كما يقوله ابن القيم.

***

المطلب الثالث
سر القلب والروح من علم المكاشفة عند الغزالي

أولاً: سر القلب:

من موضوعات علم المكاشفة سر القلب، يقول الغزالي: «ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس، بل هو من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه، تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة، والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة، وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره، وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وإنما هو أمر إلهي»[٣]، ويقول في عجائب القلب، «وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين أحدهما: أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري ص١٤٣-١٤٤، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/ ٤٠، جـ٨/ ١٨، ودفع الشبهة والغرر للشيخ مرعي الحنبلي ص١٣٥-١٣٨، وشفاء العليل جـ١/ ١٦٩.

(٢) انظر: شفاء العليل جـ١/ ١٥٠، والقضاء والقدر د.المحمود ص٣٤٧.

(٣) إحياء علوم الدين جـ١/ ٨١.

غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة»[١].

وهذا القول من الغزالي في القلب المعنوي قريب إلى الحق، لأن القلب ينقسم إلى قلبين: القلب الحسي: وهو اللحمي الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من القلب.

والقلب المعنوي: وهو لطيفة ربانية روحانية، لها تعلق بالقلب الجسماني.

والعلاقة بينهما سر رباني يدرك الناس آثارها، ولا يعرفون كنهها، لأنها لا تدرك بالعقول، وهذا مما أثبته العلم الحديث[٢].

ثانياً: سر الروح:

من الأسرار التي ذكرها الغزالي كثيراً، ويربطه بالأسرار السابقة خاصة سر القدر وسر القلب، يقول الغزالي عن أسباب منع كشف سر القلب «والثاني: أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ[٣] فليس لغيره أن يتكلم فيه»[٤]، وقال: «وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه، كسر القدر الذي منع من إفشائه، فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب»[٥].

وهذا القول من الغزالي في الروح بسبب متابعته للفلاسفة الذين يكثر كلامهم عن النفس والروح بغير حق، وقوله أنها لا تعرف حق، فهي من الغيب المحض الذي لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] ولهذا فإن البحث في حقيقة الروح غير صحيح.

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٤.

(٢) أعمال القلوب جـ١/ ٨٨-٩٢.

(٣) سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب "ويسألونك عن الروح") جـ٣/ ١٤٦٢، رقم الحديث ٤٧٢١، وليس فيه ما ذكر الغزالي من سر الروح .

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٤، وانظر جـ٣/ ٥٠٣.

(٥) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٥٠٣.

وقد «حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر [و][1] مائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله ـ سبحانه ـ قد استأثر بعلمه، ولم يطلع عليه أنبياء ولا أذن لهم بالسؤال عنه ولا البحث على حقيقته فضلاً عن أممهم المتقدمين.

وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه،... ولذا رد ما قيل في حده قديماً وحديثاً»[2].

وروح بني آدم من أعظم المعجزات فهي بين جنبيه ولا يعرف حقيقتها، قال القرطبي: «ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها، وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا، كان يعجزه[3] عن إدراك حقيقة الحق أولى، وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له، دلالة على أنه عن إدراك خالق أعجز»[4].

والخلاصة إن ورود مثل هذه التحذيرات وما أكثرها، تجعل القارئ في حيرة من أمر الغزالي، فهو لا شك يخفي شيئاً عن قارئه. ولكن ما هو هذا الشيء؟[5].

إن موضوعات علم المكاشفة في نظر الغزالي تؤكد أنه من وحي الشيطان، وأنه قول بالبدع المعروفة الباطلة، كالقول بالحلول والجبر، لكنها تلبس بشيء من التعظيم والسرية والعبادة، حتى تروج على الجاهل، ولا يعترض عليها الأتباع، وهذا يوضح خطر علم المكاشفة مصدر التلقي الأهم عند الصوفية.

* * * * *

---

(١) سقطت من الأصل ولا تستقيم العبارة بدونها.

(٢) فتح البيان جـ٧/ ٤٤٨.

(٣) كذا في الأصل والأولى (عجزه).

(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ١٠/ ٣٢٤.

(٥) من قضايا التصوف ص١٨٥.

المبحث الثالث
علم المكاشفة والنبوة عند الغزالي

علاقة المكاشفة بالنبوة هي أخطر مسائل هذه الدعوى، ولذا ظهرت بارزة عند متفلسفة الصوفية في صورة واضحة من الزندقة وادعاء النبوة.

المطلب الأول
التشابه بين المكاشف والنبي عند الغزالي

نجد تشابهاً كبيراً بين المكاشفة والنبوة عند الغزالي، فالعلم واحد، والمصدر واحد، والطريقة واحدة، فبينهما تتلاشى الفروق، وقد حاول الغزالي الفرار من هذا، ويتضح من خلال النصوص التالية:

١ـ يقرن الغزالي بين النبوة والولاية عند كلامه عن المكاشفة، فيقول« النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق، فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق، وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً»[(١)]، ويقول:« وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء، والإلهام للأولياء»[(٢)]، ويرى أن « نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة، وذلك هو الكبريت الأحمر وأني يتيسر »[(٣)]، ويقول « إنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبياً كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك، وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج»[(٤)]، وبعض هذا المعنى ذكره ابن سينا[(٥)]، ويقول الغزالي: « تسارعت

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣١ـ ٣٢.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٥٠٣.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٢١٧.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣٠٥.

(٥) الإشارات والتنبيهات جـ٤/ ٨٦ـ٨٨، وحذر من إنكارها جـ٤/ ١٦٠.

الألسنة إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر.... ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة، وقد خلق الخلق أطواراً فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته،... ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة»[١]، وقريباً منه هذا المعنى جعله ابن سينا للعارفين، كما حذر من إنكار هذه الدعوى[٢].

ويجعل الغزالي الإلهام الذي جعله للأولياء من درجات النبوة، فيقول: « فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام، بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة، وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في المنام وهذا أعلى الدرجات، وهي من درجات النبوة العالية، كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكار ما جاوز حد قصورك»[٣]، والتمثيل للوحي بالمنامات ذكره ابن سينا في مصحف الفلاسفة "الإشارات والتنبيهات"[٤].

٢) يرى الغزالي أن علوم الأولياء والأنبياء متماثلة، وتختلف عن علوم العلماء، فيقول: «الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا، وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، وعلم الحكمة يتأتى من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك.... فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب، وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١/ ٣٢٠.

(٢) الإشارات والتنبيهات جـ٤/ ٤٧-٤٨.

(٣) إحياء علوم الدين جـ١/ ١١٥، وانظر: جـ٣/ ٢٨.

(٤) الإشارات والتنبيهات جـ٤/ ١١٩، ١٣٧-١٣٨.

فقط»[١]، ودعوى جلاء القلوب وتطهيرها لحصول الوحي قال به الفارابي وابن سينا[٢].

ويرى الغزالي أن الملائكة تتمثل للأنبياء والأولياء، فيقول:« تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه»[٣].

* * *

المطلب الثاني
الوحي للمكاشفين عند الغزالي

١) يرى الغزالي أن الجود الإلهي الذي هو الوحي مبذول لكل الأولياء، فيقول « لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى، غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال ﷺ: (**إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها**)[٤]، والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته..... وإلى هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ: (**ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول: هل من داع فأستجيب له**)[٥]، وبقوله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل: (**لقد طال شوق الأبرار إلى**

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٦.

(٢) آراء المدينة الفاضلة ص١٤، ١٧٧، والإشارات والتنبيهات جـ٤/ ٣٢.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣١، وانظر: جـ٣/ ٣١، ٣٢، وقد زعم ابن عربي أن الفرق بين النبي والمكاشف عدم رؤية الملك ونسب ذلك للغزالي، وهذه النصوص تبرز تناقض الغزالي. انظر: ابن عربي وموقفه من النبوة والأنبياء ص١٠٢.

(٤) سيأتي تخريج الحديث ونقد استدلال الغزالي به.

(٥) أخرجه البخاري في (كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل) جـ١/ ٣٤١ رقم الحديث ١١٤٥.

لقائي وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً)[١]، وبقوله تعالى: (من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعًا)[٢]، كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم، تعالى عن البخل والمنع علواً كبيراً، ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب، فإن القلوب كالأواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء، فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله ﷺ: (لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء)[٣]»[٤].

ويقول: «بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك، فصار ذلك حجاباً بينك وبينها، فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب»[٥]، بل يزعم الغزالي أن الوحي كله من علم المكاشفة، فيقول: « درجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب

---

(١) ذكره أبو نعيم في الحلية جـ١٠/ ٩١، عن الحارث المحاسبي، وقال جامع الأحاديث القدسية في جـ١/ ٦٧ رقم١١٤٠: ضعيف جداً، وقال العراقي في المغنى جـ٢/ ٧١٠ رقم ٢٥٨٦: لم أجد له أصلا.

(٢) أخرجه البخاري في (كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه) جـ٥/ ٢٣٥٦ رقم الحديث ٧٥٣٦.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ١٤/ ٢٨٦ رقم ٨٦٤٠: ولفظه: (فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني فإذا أنا برهج ودخان وأصوات، فقلت ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب) قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، وجهالة أبي الصلت»، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه جـ٧/ ٣٣٥، رقم ٣٦٥٧٤، ومع ضعف الحديث فقد جاء بلفظ "أعين" وليس "القلوب".

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣/ ١٠-١١، وانظر: جـ١/ ٣٢٠.

(٥) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٩٦.

الوحي،.... فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبياً ولا ولياً، ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقياً»[١].

٢) يضرب الغزالي الأمثلة في حصول الوحي للمكاشف، فيقول: إن «من آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان: باب إلى خارج وهو الحواس؛ وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي، فإذا أقربهما جميعاً لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيل إليه.... ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة»[٢]، ويضرب مثالاً لذلك فيقول: يقول الغزالي عن عجائب القلب: « نحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين: أحدهما: أنه لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض احتمل أن يساق الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض، ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم، وقد يكون أغزر وأكثر، فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار.

وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علماً، ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر يعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله.

فإن قلت: فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه، فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة، بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين»[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١/ ١٢٣.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣١-٣٢.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٣-٢٤.

ويمثل الغزالي الوحي للأولياء بمثال آخر، فيقول:« إن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقة الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بإمام مبين كما ورد في القرآن.... واللوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها، واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت، كالبرق الخاطف، وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب، وما دام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت»[١]، وهذا المثال ذكره ابن سينا في مصحف الفلاسفة الإشارات والتنبيهات[٢].

٣) يزعم الغزالي أن المكاشف يطلع على اللوح المحفوظ، يقول في عجائب القلب: « فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ[٣] رأى الأشياء فيه، وتفجر إليه العلم منه، فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض، ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ»[٤]، ويقول: « فإذن للقلب بابان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس.... وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٥/ ٢٦٠- ٢٦١، وانظر: الكلام على هذا المثال جـ٤/ ١٦٨.

(٢) الإشارات والتنبيهات جـ٤/ ١٣٦، ١٢٢.

(٣) يعرف الغزالي اللوح المحفوظ بأن الله تعالى كتب فيه نسخة العالم من أوله إلى آخره. انظر: إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٥.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٥.

ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقيناً بالتأمل في عجائب الرؤيا، وإطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس»[١].

ويزعم الغزالي: «لكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه، وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال، والعلماء ورثة الأنبياء، فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء»[٢]، وهذا باطل تقدم الرد عليه في الزعم أن التوحيد سر.

***

المطلب الثالث
نقد أقوال الغزالي في التسوية بين المكاشفة والنبوة

جواب هذا الباطل على النحو التالي:

١ـ خطورة نظرية المكاشفة عند الغزالي أنها شجعت التصوف الفلسفي على التطرف والإلحاد والغلو دونما أي حرج، حتى إنه كان من هؤلاء من يطمع في النبوة كالسهروردي المقتول الذي كان يقول: لا أموت حتى يقال لي: "قم فأنذر"[٣]، فهي من أصول الإلحاد[٤].

ولذا ادعى ابن عربي ما هو أعظم من النبوة[٥]، فزعم « أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وأن الأنبياء جميعهم إنما يستمدون معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء»[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٦.

(٢) إحياء علوم الدين جـ١/ ١٨.

(٣) أبو حامد الغزالي والتصوف ص١٧٣.

(٤) درء التعارض جـ٥/ ٣٤٨، ومنهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة ص١٠٦.

(٥) درء التعارض جـ٥/ ٢٣.

(٦) درء التعارض جـ٥/ ٣٥٥.

وزعم ابن عربي: «أن الولاية هي الفلك المحيط العام، ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباء العام»[١]، قال الشوكاني: «فالرجل وأهل نحلته مصرحون بأنهم أنبياء تصريحاً لا شك فيه، بل لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا أنفسهم أعظم من الأنبياء»[٢]، وذهب غالب متأخري الصوفية إلى تفضيل الولي على النبي، وزعموا أن الأولياء يتلقون من الله تعالى[٣].

وقد تتابع أئمة الصوفية يدعون أن كتبهم المخالفة للنقل وكل العقول من الوحي وأنها إما بأمر إلهي، أو بأمر النبي ﷺ وإملائه، وعلى سبيل المثال زعم الجيلي أن كتابة "الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية" بأمر إلهي[٤]، كما زعم التجاني أن كتبهم من إملاء الرسول ﷺ[٥].

٢) الغزالي يقول بنظرية المعرفة الفيضية والكشف والإلهام الباطني الحاصل عن التصفية الرياضية والمجاهدات الصوفية، وقد تأثر بالفلاسفة الذين يجعلون النبوة مكتسبة، وذلك بزعمهم أن استعداد الإنسان بطريق الرياضة وتصفية القلب يؤهله لأن يفيض عليه ما فاض على الأنبياء من قبله، وأن النبوة عبارة عن قوى نفسانية وخصائص موجودة في كافة البشر وإنما حالت الشهوات بينهم وبين اكتشاف هذه الخصائص التي في أنفسهم[٦]، وتقدمت الإحالة للمواضع التي في مواضعها تابع الفلاسفة وهي ثلاثة مواضع.

---

(١) فصوص الحكم لابن عربي تعليق د. عفيفي ص ١٣٤-١٣٥ الفص العزيري.

(٢) الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ص ١٣١.

(٣) الإنصاف في حقيقة الأولياء ص٦٨.

(٤) انظر: الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية ص ٣٧.

(٥) الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني تأليف محمد عبدالله التجاني ص٧٠.

(٦) أبو حامد الغزالي والتصوف ص١٧٠، والنبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص٢٤٧.

٣) زعم الغزالي أن علم المكاشفة من الوحي، ثم زعم أن درجات الوحي لا تستدعي منصب الوحي[١]، ومن أقواله السابقة لا توجد أي فروق بين أنبياء الله تعالى ورسله وأولياء الصوفية، يمكن أن يميز به الوحي عن المكاشفات[٢].

فكلاهما يرون الملائكة، ويأخذون من اللوح المحفوظ، وكلاهما يخفي علم المكاشفة حسب زعمه.

نعم نجد الغزالي في مواضع أخرى من كتبه يثبت أن الأمر في النبوة والوحي تابع لإرادة الله وأمره، وأنه يهيئ من شاء من عباده ليكون محلاً لاصطفائه واختياره وإكرامه بالنبوة والوحي، ثم يناقضه هنا عند حديثه عن علم المكاشفة، إن ذلك من الغزالي يعتبر خلطاً في المنهج أفضى به إلى أن تضاربت آراؤه فتكدر صفو الصافي منها، ولم يخف على النقاد أن سبب ذلك هو صراع الأفكار والآراء والمعارف في ذهنه، مع تقلب أحواله الذي أفصح عنه في "المنقذ من الضلال"، وهذا الصنيع من الغزالي في الوحي وطرقه ليزيد من صعوبة مهمة الباحث حتى يتحير في أمره ويتردد في أحكامه، إذ إنه إذا حكم على المنهج حسب نصوص وأدلة عديدة وقرائن كثيرة يجد ضمن ذلك عقلية إشراقية ومسلكاً صوفياً لا يختفي إلا ليظهر ولا يطلق حكماً إلا ليندرج تحته، ولا تستبعد فكرة أو يستدرك منها إلا من أجل تقريره وتحسينه[٣].

٤) ما يدعيه الغزالي من الكشوفات الصوفية انتقاص من مرتبة النبوة، ويفتح الأبواب للولاية لتزاحم النبوة في المعارف والمصدر، وما يترتب عليها، والمكانة وما يلزم لها، ودعوة عامة للجميع إلى تسلقها وارتقائها، بل المكاشفة أفضل من البنوة في مفهوم كلام الغزالي، فهم على اطلاع على الغيب متى أرادوا والأنبياء ليس لهم ذلك، وهذا الرأي له

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١/ ١٢٣.

(٢) النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص٢٤٧.

(٣) النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص١٦٣.

خطورته التي قد تفوق خطورة الرأي الباطني القائل بفيضان العلوم الموحاة إلى الإمام المعصوم، حيث إن عدد الأئمة الموحى إليهم عند الرافضة لا يتعدى الاثني عشر إماماً.

أما عدد الأولياء الذي يتلقون العلوم الكشفية فإنه لا حصر له البتة، إذ باب الوحي مفتوح على مصراعيه، وما عليك إلا أن تصفي قلبك من الكدورات وتنقيه من المعاصي، ثم تخلو بنفسك في زاوية وتفتح عين الباطل، جاعلاً قلبك في الملكوت حتى تنفتح لك تلك الطاقة، وتظهر لك أرواح الملائكة والأنبياء، والصور الحسنة الجميلة الجليلة فينكشف لك ملكوت السموات الأرض، وترى ما لا يمكن وصفه ولا شرحه[١].

وهذا باب يدخل منه الصالح والطالح كما حصل في تأريخ الصوفية ولا يمكن ضبطه ولا يعتمد على ما حصل عن طريقه إذ قصارى أمره أن يكون من الإلهام الذي لا يعتد به لغير الأنبياء، فيكون الغزالي قد كدر علينا ما صفيناه من نصوصه في الوحي وطرقه بما خلطه بها من علوم المكاشفين[٢].

والواجب على الغزالي وغيره تعظيم النبوة لا انتقاصها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا ريب أن الرجل كلما عظمت ولايته وعظم نصيبه من انكشاف الحقائق له: كان تعظيمه للنبوة أعظم»[٣].

٥) ليس النزاع مع الغزالي وغيره في وقوع المكاشفة، وإنما النزاع في الاحتجاج به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إن: « الذين أنكروا الإلهام طريقاً على الإطلاق أخطأوا، كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق»[٤]، وكذلك الوحي من حيث العموم غير

---

(١) أبو حامد الغزالي والتصوف ص١٥٨، والنبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص٢٤٢، ٢٥٠.

(٢) النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص١٦٣.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ص١٢١-١٢٢، والصفدية ١/ ٢٦١-٢٦٢.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١٠/ ٤٧٣، والمعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها ص٧٢.

مختص بالأنبياء، بل قد يكون لغيرهم، لكن الأنبياء يختصون بالعصمة في الوحي، ولذلك كان الوحي إليهم تشريعاً بخلاف الوحي إلى غيرهم، وقد أخبر تعالى أنه أوحى إلى غير الأنبياء كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١]، ولم يلزم من ذلك أن تكون أم موسى عليها السلام نبية ولا أن يكون الحواريون أنبياء[١].

وما يجعله الله في القلوب تارة يكون بواسطة الملائكة إن كان حقاً، وتارة بواسطة الشياطين إذا كان باطلاً، والملائكة والشياطين أحياء ناطقون كما دلت على ذلك الدلائل الكثيرة من جهة الأنبياء، وهؤلاء لما دخلت عليهم الفلسفة زعموا أن الملائكة والشياطين صفات لنفس الإنسان فقط[٢].

فمن أين للمخاطب أن هذا الخطاب ملكي؟ بأي برهان؟، ولذلك ما يقوله أصحاب الخيالات الفاسدة «حدثني قلبي عن ربي» صحيح، لكن قلبه حدثه عن شيطانه[٣]، وقد علم بالسمع والعقل أنه إذا فرغ القلب من كل شيء حلت فيه الشياطين، ثم تنزلت عليه الشياطين، كما كانت تنزل على الكهان، وإنما يمنع الشيطان من الدخول إلى قلب ابن آدم ما فيه من ذكر الله - تعالى -[٤].

ومن صور كيد الشيطان لهؤلاء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكثير من هؤلاء يتمثل له الشيطان، ويرى نوراً أو عرشاً أو نوراً على العرش، ويقول أنا ربك، ومنهم من

---

(١) المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها ص٧١، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ١٢/ ٣٩٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١٠/ ٣٩٨-٣٩٩.

(٣) مدارج السالكين جـ١/ ٥٠، ٥٦.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١٠/ ٣٩٩.

يقول: أنا نبيك، وهذا وقع لغير واحد، ومن هؤلاء من تخاطبه الهواتف بخطاب على لسان الإلهية أو غير ذلك»[١]، «وقد يخاطبون بأشياء حسنة رشوة منه لهم، ولا يخاطبون بما يعرفون أنه باطل، لئلا ينفرون منه، بل الشيطان يخاطب أحدهم بما يرى أنه الحق، والراهب إذا راض نفسه فمرة يرى في نفسه صورة التثليث، وربما خوطب منها، لأنه كان يتمثلها قبل ذلك»[٢].

٦) زعم الغزالي أن خاصية النبوة هي الإطلاع على غيب الله تعالى حسب أمر الله وإرادته، ثم نجده يفتح الباب واسعاً لمن أراد أن يكشف له الغطاء ويرفع عنه الحجاب بين اللوح والمحفوظ ومرآة قلبه حتى تنتقش فيه جميع المعلومات أو بعضها، وأن النفس البشرية بالمجاهدة والعكوف على التهذيب حتى تصير كالمرآة تفيض عليها من جهة الله تعالى تلك الأمور الشريفة كما فاضت على الأولياء والأنبياء والصديقين، وإذا كان هذا لجميع النفوس فما هو الخاص بالأنبياء الذين يعطف هو عليهم دائماً الأولياء[٣]، وكأن الغزالي فضل المكاشفين على الرسل عليهم السلام فهم على إطلاع دائم والأنبياء ليسوا كذلك[٤].

وهذا كله باطل فإن الغيب لا يعلمه إلا الله؛ قال ﷺ: (في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]... إلى آخر سورة لقمان)[٥]».

---

(١) منهاج السنة جـ٢/ ٦٢٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/ ٦١٢ ، وانظر:جـ١١/ ٣٩٥.

(٣) النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص١٦٢.

(٤) النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص٢٥٠.

(٥) أخرجه البخاري في (كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾) جـ٣/ ١٥٠٣ رقم الحديث: ٤٧٧٧.

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، واستثنى المرسلين في الآية الأخرى بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن: ٢٦ – ٢٧]. فبقي من عداهم على الحكم الأول؛ وهو امتناع علمه، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل: ٦٥]، وفي حديث عائشة: « ومن زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غَدٍ، فقد أعظم الفِريَةَ على الله»[(١)]، وقد تعاضدت الآيات والأخبار، وتكررت في أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وهو يفيد صحة العموم من تلك الظواهر[(٢)].

٧) هذا الولي المكاشف الذي لقلبه باب داخل تنفجر منه العلوم ولا يشتغل بإصلاح الخلق أمره محير!، لأن الحقائق الذي كوشف بها إما أن تكون فهماً في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله فهذا العالم عليه أن يعمل لإصلاح عباد الله ونشر ما فتح الله به عليه طلباً للثواب ورهباً من العقاب.

وإما أن يكون ما يكاشف به من الحقائق فيه مخالفة أو زيادة أو نقص على الوحي المعصوم فهذا لا يلحق صاحبه في معارفه وأحواله بالأنبياء والأولياء بل هو من إخوان الشياطين الذين أخبر الله تعالى بتنزل الشياطين عليهم قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣].

---

(١) أخرجه مسلم في (كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ولقد رآه نزلة أخرى) جـ١/ ١٥٩، رقم الحديث: ١٧٧.

(٢) الموافقات جـ٤/ ٤٧٢-٤٧٣، وأصول بلا أصول ص١٨٥-١٨٨.

ولعل الغزالي أحس بما في نصوصه السابقة من محذور فأتبعها بالحديث عن تسلط الشيطان على القلب، الأمر الذي يجعل الباحث ينظر إلى نصوص الغزالي بأن أحكامه فيها نسبية أو متعارض[١].

٨) آيات الأنبياء وأخبارهم خارج قدرة الجن والإنس، فلا يشابههم أحد قط في آياتهم، لا ولي ولا غيره، وما يخبر به النبي من الغيب خارج عن قدرة الجن والإنس[٢]، فكيف يزعم الغزالي أن المكاشفين يعرفون الغيب بإطلاق!، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يتصور أن الولي يُعطى ما أعطيه النبي من المشاهدة والمخاطبة.

وأفضل الأولياء أبوبكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم، وليس في هؤلاء من شاهد ما شاهده النبي ﷺ ليلة المعراج، ولا شاهد الملائكة الذين كانوا ينزلون بالوحي على النبي.. ولا سمع عامة الأنبياء – فضلاً عن الأولياء- كلام الله كما سمعه موسى بن عمران»[٣].

٩) النبوة اصطفاء واختيار من الله تعالى، والشرع الشريف لم يأمرنا بتطلب الكشف والإلهام، لأنه وهبي وليس كسبيّاً، وإنما أُمِرنا بطلب العلم.

* * * * *

(١) النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص٢٥٠.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص١٢١-١٢٢، والصفدية ١/ ٢٦١-٢٦٢.

(٣) النبوات ص١١-١٢.

المبحث الرابع
أدلة علم المكاشفة وأمثلته عند الغزالي

أهل البدع يقولون بالبدعة ويقررونها ثم ينظرون فيما يوافق قولهم من الأدلة ليعتضد بها، وهكذا الغزالي قرر علم المكاشفة، وجعله مع النبوة في منزلة واحدة، ثم بعد تقرير ضلالاته، بحث عما يؤيد قوله من الأدلة الشرعية، ليعتضد بها وليس ليستدل بها ويتابعها.

المطلب الأول
أدلة علم المكاشفة عند الغزالي ونقدها

حاول الغزالي حشد جميع الأدلة لإثبات المكاشفة، بل ذكر أدلة الفراسة وغيرها للاستدلال بها على علم المكاشفة، يقول الغزالي: « بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد، اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفاً بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به»[(١)].

وقد استدل على هذه الدعوى بجملة من الأحاديث، منها الصحيح الذي لا يدل على مراده، ومنها الموضوع الذي لا حجة فيه.

وهذه أدلة الغزالي:

أولاً: أدلة علم المكاشفة من القرآن الكريم عند الغزالي ونقدها:

١) « قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[العنكبوت:٦٩] فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام»[(٢)].

والرد عليه: ذكر المفسرون أن المراد بهذه الآية الرسول ﷺ وأتباعه إلى يوم الدين[(٣)]، وقد عرفنا مجاهدة الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعه وعبادتهم، وليس فيها العبادة على

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٨.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٣/ ٤٢٢.

الطريقة الصوفية ولا الكشف الصوفي، ولا جعلوا الإلهام حجة في الدين، وقد حصل لهم، لكن لم يتجاوزا الكتاب والسنة، فقول الغزالي في تفسير الآية انفرد به، لم يعرف عن سلف الأمة.

٢) «قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢] من الإشكالات والشبه ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣] يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة»[(١)].

والرد عليه: لم يرد هذا المعنى في تفسير الآيتين، وسياق الآيات في أحكام الطلاق، فلما بين سبحانه أحكام الطلاق أعقب ذلك بوعد المتقين الواقفين عند حدوده بهذا الوعد الكريم[(٢)]، وليس في الآية ذكر للعلم، فضلاً عن العلم من غير تعلم.

٤) « قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] قيل نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات»[(٣)].

ولذلك كان ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام: **(اللهم أعطني نوراً وزدني نوراً واجعل لي في قلبي نوراً وفي قبري نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً)** حتى قال: **(في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي)**[(٤)]»[(٥)].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٢) تفسير التحرير والتنوير جـ٢٨/ ٣١٣.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٤) أخرجه البخاري في (كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل) جـ٤/ ١٩٨٧- ١٩٨٨، رقم الحديث: ٦٣١٦، وليس فيه: (أعطني نوراً وزدني نوراً).

(٥) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

والرد عليه: المروي عن ابن عباس في تفسير فرقاناً: أي مخرجا، ونجاة، وروي عن غيره: فصلاً بين الحق والباطل[١]، لكن مراد الغزالي بالنور هنا هو النور الصوفي، وهو ما يذكرونه في التجلي، ويفهم منه ثلاثة أحوال وهي:

١- تجلي الذات.

٢- تجلي الصفات.

٣- تجلي الآخرة.

ومراد الغزالي من هذه الأحوال الأول أو الثاني أما الثالث فحق دلت عليه النصوص، قال السراج الطوسي التجلي هو: «أشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه»[٢].

قال ابن القيم: «ونور الكشف عندهم: هو مبدأ الشهود، وهو نور تجلي معاني الأسماء الحسنى على القلب فتضيء به ظلمة القلب، ويرتفع به حجاب الكشف، ولا تلتفت إلى غير هذا، فتزل قدم بعد ثوبتها، فإنك تجد في كلام بعضهم "تجلي الذات يقتضي كذا وكذا، وتجلي الصفات يقتضي كذا وكذا، وتجلي الأفعال يقتضي كذا وكذا"، والقوم عنايتهم بالألفاظ فيتوهم المتوهم: أنهم يريدون تجلي حقيقة الذات والصفات والأفعال للعيان، فيقع من يقع منهم في الشطحات والطامات»[٣].

وهذا الموضع غلط فيه أقوام من الصوفية، قال السراج الطوسي: «باب ذكر من غلط في الأنوار قال فيه:"وطائفة غلت في الأنوار، وزعمت أنها ترى أنواراً، وبعضهم يصف قلبه بأن فيه أنواراً، ويظن أن ذلك من الأنوار التي وصف الله ـ تعالى ـ بها نفسه، وهذه

---

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير جـ٣/ ٣٠١ـ٣٢٠.

(٢) اللمع ص٤٣٩، ولعل الصواب (إشراق)، وانظر: كشف المحجوب ص٦٣٣.

(٣) مدارج السالكين جـ٣/ ١١٥.

الطائفة تصف ذلك النور بصفة أنوار الشمس والقمر، وتزعم أن ذلك من أنوار المعرفة والتوحيد والعظمة، وتزعم أنها ليست بمخلوقة، وقد غلط هؤلاء في ذلك غلطاً عظيماً»[١].

قال ابن القيم عن العارفين من الصوفية: «ولا يعتقد أن الذات المقدسة والأوصاف: برزت وتجلت للعبد ـ كما تجلى سبحانه للطور، وكما يتجلى يوم القيامة للناس ـ إلا غالط فاقد للعلم، وكثيراً ما يقع الغلط من التجاوز من نور العبادات والرياضة والذكر إلى نور الذات والصفات.

فإن العبادة الصحيحة، والرياضة الشرعية، والذكر المتواطئ عليه القلب واللسان: يوجب نوراً على قدر قوته وضعفه، وربما قوي ذلك النور حتى يشاهد بالعيان، فيغلط فيه ضعيف العلم والتمييز بين خصائص الربوبية ومقتضيات العبودية، فيظنه نور الذات، وهيهات! ثم هيهات! نور الذات لا يقوم له شيء، ولو كشف سبحانه وتعالى الحجاب عنه لتدكدك العالم كله، كما تدكدك الجبل وساخ لما ظهر له القدر اليسير من التجلي...

فالإسلام له نور، والإيمان له نور أقوى منه، والإحسان له نور أقوى منهما، فإذا اجتمع الإسلام والإيمان والإحسان، وزالت الحجب الشاغلة عن الله ـ تعالى ـ: امتلأ القلب والجوارح بذلك النور، لا بالنور الذي هو صفة الرب ـ تعالى ـ، فإن صفاته لا تحل في شيء من مخلوقاته، كما أن مخلوقاته لا تحل فيه، فالخالق سبحانه بائن عن المخلوق بذاته وصفاته، فلا اتحاد، ولا حلول، ولا ممازجة، تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً»[٢].

---

(١) اللمع ص٥٤٨.

(٢) مدارج السالكين جـ٣/ ١١٦-١١٧.

٥) « سئل ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر الآية:٢٢] ما هذا الشرح فقال: (هو التوسعة، إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح) »[١].

والرد عليه: الحديث ضعفه العلامة الألباني، وذكره جماعة من المفسرين وغيرهم وبينوا أن المراد هو نور الإيمان وأعظم أسبابه التوحيد، والغزالي يريد بالنور هنا الوحي على زعمه وأعظم آثاره القول بالحلول والشرك، فالمعروف عند أهل العلم يناقض ما ذكره الغزالي[٢].

٦) « قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[الأنبياء: ٧٩] خص ما انكشف باسم الفهم»[٣].

والرد عليه: هذا تفسير جديد للغزالي للآية، ولا يدل عليه السياق، وفي الآية قرينتان على أن حكم داود وسليمان عليهما السلام كان باجتهاد لا بوحي، وأن سليمان عليه السلام أصاب فاستحق الثناء باجتهاده وإصابته، وأن داود عليه السلام لم يصب فاستحق الثناء باجتهاده، ولم يستوجب لوماً ولا ذماً، هذه القرينة الأولى، والثانية: أن قوله تعالى ففهمناها يدل على أن

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٢) الحديث ورد بهذا اللفظ: (إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح)، قالوا: فهل لذلك إمارة يعرف بها؟ قال: (الإنابة إلى دار الخلود، والتنحي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت)، وقد عزاه ابن القيم في زاد المعاد جـ٢/ ٢٣ للترمذي وقد وهم في ذلك، كما في حاشية الزاد للأرنؤوط، وسلسلة الأحاديث الضعيفة جـ٢/ ٣٨٣-٣٨٧، رقم ٩٦٥، قال ابن كثير بعد أن ساق طرق الحديث في تفسيره جـ٢/ ١٧٥: «فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً». وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، وقال جـ٢/ ٣٨٧: وقال: «وجملة القول: أن هذا الحديث ضعيف لا يطمئن القلب لثبوته عن رسول الله ﷺ لشدة الضعف الذي في جميع طرقه، وبعضها أشد ضعفا من بعض، فليس فيها ما ضعفه يسير يمكن أن ينجبر، خلافاً لما ذهب إليه ابن كثير».

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

فهمه إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع، هذا أحد الأقوال في الآية وهو الراجح، والقول الثاني: أن حكم داود وسليمان عليهما السلام كان بوحي[١].

٧) « القرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف، وذلك علم من غير تعلم، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦] خصصها بهم وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس»[٢].

والرد عليه: ليس في القرآن الكريم ولا في الآيات التي ذكر الغزالي أن التقوى مفتاح الكشف الصوفي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « قد شاع في لسان العامة أن قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] من الباب الأول حيث يستدلون بذلك على أن التقوى سبب تعليم الله، وأكثر الفضلاء يطعنون في هذه الدلالة لأنه لم يربط الفعل الثاني بالأول ربط الجزاء بالشرط، فلم يقل: واتقوا الله ويعلمكم، ولا قال فيعلمكم، وإنما أتى بواو العطف وليس من العطف ما يقتضي أن الأول سبب الثاني، وقد يقال العطف قد يتضمن معنى الاقتران والتلازم كما يقال: زرني وأزورك، وسلم علينا ونسلم عليك، ونحو ذلك مما يقتضي اقتران الفعلين والتعاوض من الطرفين، كما لو قال لسيده: اعتقني ولك علي ألف، أو قالت المرأة لزوجها طلقني ولك ألف أو اخلعني ولك ألف، فإن ذلك بمنزلة قولها بألف أو علي ألف، وكذلك أيضا لو قال أنت حر وعليك ألف، أو أنت طالق وعليك ألف، فإنه كقوله علي ألف أو بألف عند جمهور الفقهاء، والفرق بينهما قول شاذ، ويقول أحد المتعاوضين للآخر: أعطيك هذا وآخذ هذا ونحو

---

(١) أضواء البيان جـ٤/ ٤٥٠-٤٥١، و الكشف عن حقيقة كتاب إحياء علوم الدين جـ٢/ ٢٧.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩- ٣٠.

ذلك من العبارات فيقول الآخر نعم، وإن لم يكن أحدهما هو السبب للآخر دون العكس، فقوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ قد يكون من هذا الباب فكل من تعليم الرب وتقوى العبد يقارب الآخر ويلازمه و يقتضه، فمتى علمه الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك، و متى اتقاه زاده من العلم، و هلم جرا»[١].

وقال ابن القيم عن هذه الآية: هما جملتان مستقلتان، طلبية وهي الأمر بالتقوى، وخبرية وهي قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة الآية:٢٨٢] أي والله يعلمكم ما تتقون، وليست جوابا للأمر بالتقوى، ولو أريد بها الجزاء لأتى بها مجزومة مجردة عن الواو، فكان يقول واتقوا الله يعلمكم أو إن تتقوه يعلمكم كما قال: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩] فتدبره[٢].

٨) «وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:٦٥] مع أن كل علم من لدنه، ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنياً، بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج»[٣].

والرد عليه: الآية وردت في قصة الخضر وهو نبي، والعلم اللدني علم وحي، ومن أظهر الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢] وقد رد استدلال الغزالي بهذه الآية غير واحد من أهل العلم، وبينوا أن غير المعصوم لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان[٤].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ١٨/ ١٧٧-١٧٨.

(٢) مفتاح دار السعادة جـ١/ ١٧٢.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣٠.

(٤) أضواء البيان جـ٤/ ١٢٢، و الكشف عن حقيقة كتاب إحياء علوم الدين جـ٢/ ٣٠، ٢٠٤.

٩) « لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر:٢] وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد»[١].

والرد عليه: المراد بالرحمة هنا النبوة لأنها جاءت في سياق إرسال الرسل، فإن إرسال الرسول من الله تعالى رحمةٌ لعباده كما قال تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ [هود: ٢٨] أي نبوة ورسالة، وهي رحمة على الخلق[٢]، فالرسل بعثوا رحمة للناس، فلا يقدر على إرسالهم غير الله، وتتضمن الآية كل ما يفتحه الله للناس من خزائن رحمته، فيشمل كل نعمة ينعم الله بها على خلقه، وهكذا الإمساك يتناول كل شيء يمنعه الله من نعمه، فهو سبحانه المعطي المانع القابض الباسط لا معطي سواه، ولا منعم غيره[٣]، والنبوة ختمت بمحمد ﷺ فلا وجه لدعوى الغزالي.

ثانياً: أدلة علم المكاشفة من السنة النبوية عند الغزالي ونقدها:

١٠) « قال ﷺ: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم، تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار)»[٤].

والرد عليه: هذا الحديث موضوع[٥].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ١٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ٩/ ٢٥، وانظر تفسير الطبري جـ٧/ ٢٩.

(٣) فتح القدير جـ٤/ ٤٢٣.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية جـ١٠/ ١٤-١٥، وانظر: الفوائد المجوعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص ٢٥٨، وتذكرة الموضوعات للهندي ص٢٠، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ١/ ٤٢٣، رقم ٤٢٢: موضوع.

١١) « قال ﷺ لابن عباس: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)»[١].

والرد عليه: الحديث أخرجه البخاري[٢]، ولفظة: (وعلمه التأويل) ليست في الصحيحين[٣]، وأكثر ألفاظ الحديث: (اللهم علمه الكتاب)، والمراد القرآن الكريم، والتعليم هو حفظه والتفهم فيه، وهذه الدعوة النبوية تحققت لما علم من حال ابن عباس في معرفة التفسير والفقه في الدين ﷺ[٤]، ولا يعرف عن ابن عباس ﷺ الكشف الصوفي، ولا أي من دعاوى الغزالي.

١٢) « قال علي ﷺ: (ما عندنا شيء أسره النبي ﷺ إلينا إلا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه)، وليس هذا بالتعلم، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] إنه الفهم في: كتاب الله»[٥].

والرد عليه: هذا الأثر عن علي ﷺ صحيح، وفي بعض ألفاظ الحديث في مسند الإمام أحمد: (ما عندنا شيء من الوحي)[٦]، وهذا فيه رد على الغزالي، إذا لم يكن وحياً، فليس إلا التعلم، كم هو معروف في سيرة ابن عباس ﷺ.

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في (كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء) جـ١/ ٧٤، رقم الحديث: ١٤٣، ولفظ الغزالي أخرجه ابن حبان جـ١٥/ ٥٣١ رقم الحديث: ٧٠٥٥، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وصحح الحديث بهذا السياق الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ٦/ ١٧٣-١٧٤ رقم ٢٥٨٩.

(٣) فتح الباري جـ١/ ٢٢٥.

(٤) فتح الباري جـ١/ ٢٢٥-٢٢٦.

(٥) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٦) أخرجه البخاري في (كتاب الحج، باب حرم المدينة) جـ١/ ٥٥٣، رقم الحديث: ١٨٧٠، ومسند الإمام أحمد جـ٢/ ٣١٥ رقم ٨٠٩.

١٣) « قال ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى) وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]»[١].

والرد عليه: هذا الحديث ضعيف[٢]، وليس في الآية دلالة على الكشف الصوفي، ومعنى المتوسمين: المتفرسين، الناظرين، المعتبرين، المتأملين[٣]، وسياق الآية في قصة قوم لوط.

١٤) : «وقد قال ﷺ: (إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم)، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث) [الحج:٥٢][٤] يعني الصديقين والمحدث هو الملهم، والملهم: هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة[٥].

والرد عليه: لفظ الحديث بعكس ما ذكره الغزالي، قال رسول الله ﷺ: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر)[٦]، ففي هذا النص: جزم

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي في (كتاب تفسير القرآن، باب ومن تفسير سورة الحجر) ص٤٩٧ رقم الحديث ٣١٢٧، وقال الترمذي: حديث غريب، وضعفه الألباني، وانظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص٣٦٧، ٤٤٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٢/ ٥٥٥، و المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص٤٤١.

(٤) أصلها في البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه) جـ٣/ ١١٣٤، معلقة، وأخرجها عبد بن حميد بسند صحيح، انظر:فتح الباري جـ٧/ ٦٣، وتعليق التغليق جـ٤/ ٦٥.

(٥) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩- ٣٠.

(٦) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه) جـ٣/ ١١٣٤ رقم الحديث ٣٦٨٩.

بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلق وجودهم في هذه الأمة بـ "إن" الشرطية، بينما نص الغزالي جزم بوجودهم وكثرتهم في هذه الأمة[١].

قال ابن القيم: «سمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ﷺ يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلق وجودهم في هذه الأمة بـ "إن" الشرطية، مع أنها أفضل الأمم، لاحتياج الأمم قبلنا إليهم، واستغناء هذه الأمة عنهم؛ بكمال نبيها ورسالته، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم، ولا صاحب كشف ولا منام، فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها»[٢].

والمحدث: هو الذي يحدث في سره وقلبه الشيء فيكون كما يحدث به[٣]، وهؤلاء جعلوا المحدث يتلقى الوحي عن الله، ويأخذ عن الله كما يشاء.

١٥) « إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال ﷺ: **(إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها)**، والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة»[٤].

والرد عليه: جاء في بعض نسخ المغني: "متفق عليه"، وفي موضع آخر اختلف في إسناده، وهو الصواب، فالحديث ليس في الصحيحين، ولا السنن، واختلف في تضعيفه وحسنه، وللضعف أقرب.

وألفاظ الحديث وطرقه جاء فيها: **(وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤمن روعاتكم)** فدلت على استغلال هذه الفرص بالدعاء، وليس فيها الوحي أو المكاشفة كما

---

(١) مدارج السالكين جـ١/ ٤٩.

(٢) مدارج السالكين جـ١/ ٤٩.

(٣) مدارج السالكين جـ١/ ٤٩.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣/ ١٠-١١.

زعم الغزالي[١].

ثالثاً: أدلة علم المكاشفة من أقوال السلف عند الغزالي ونقدها:

١٦) يقول الغزالي: «كتب عمر ﷺ إلى أمراء الأجناد: (احفظوا ما تسمعون من المطيعين فإنهم ينجلي لهم أمور صادقة)»[٢].

والرد عليه: قول عمر ﷺ لم أجد له إسناداً[٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب ﷺ أنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم، فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات، وأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب ﷺ، فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بأنه محدث في هذه الأمة، فأي محدث ومخاطب فرض في أمة محمد ﷺ فعمر أفضل منه، ومع هذا فكان عمر ﷺ يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه فيكون ذلك

---

(١) الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية جـ٣/ ١٩٠، والطبراني في المعجم الكبير جـ١٩/ ٢٣٣، بلفظ: (إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحة لا يشقى بعدها أبداً)، وقد حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ٤/ ٥١١ رقم ١٨٩٠، وضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ٦/ ٣١٣ رقم ٢٧٩٨، ورد على من صححه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١٠/ ٣٩٩، رقم ١٧٧١٣: «إسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهو ثقة»، قال العراقي في المغني جـ١/ ١٣٩ رقم ٥٤٨: «اختلف إسناده»، وفي جـ٢/ ٧١٠ رقم ٢٥٦٨: في نسخة الحلبي قال: «متفق عليه»،وهذا غير صحيح فليس الحديث في الصحيحين، ولا السنن، ففي النسخة المحققة: «قد تقدم».

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣٢.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور ولفظه:" لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فإنه يجلي لهم أمور صادقة"، انظر: الدر المنثور جـ٨/ ٣٢.

من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته غير مرة، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية.... ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر مع أن عمر ﷺ محدث، فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله، والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبه ليس بمعصوم فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم، ولهذا كان عمر ﷺ يشاور الصحابة ﷺ ويناظرهم، ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويقرهم على منازعته، ولا يقول لهم: أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني، فأي أحد ادعى أو ادعى له أصحابه أنه ولي لله وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهو وهم مخطئون ومثل هذا أضل الناس»[١].

١٧) « كان أبو الدرداء يقول: (**المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق، والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم**)»[٢].

والرد عليه: هذا الأثر روي بلفظ: (**اتقوا فراسة العلماء...**) إلخ، وهو ضعيف[٣]، والمراد بهذا القول حال ثبوته هو الفراسة، وسيأتي الكلام عليها.

١٨) « قال بعض السلف: ظن المؤمن كهانة»[٤].

والرد عليه: لم أجد هذا النقل، وقد جاء عن أبي مسلم الخولاني قوله: «اتقوا ظن المؤمن فإن الله جعل الحق على لسانه وقلبه»، والمراد به كما سئل بعض العرب عن العقل

---

(١) الفرقان أولياء الرحمن وأولياء الشيطان جـ١/ ٣٨-٣٩.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

(٣) المقاصد الحسنة ص١١، وكشف الخفاء ص٤٢.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٩.

فقال: (الإصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما كان) ، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: (لله در ابن عباس إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق)[١]، وهذا معروف عن آراء ابن عباس عن مآل النزاع بين علي ومعاوية ﷺ، وقد كان ما توقعه، وليس فيها وحي أو مكاشفة أو غير ذلك.

وهذه الآثار وبعض الأحاديث المتقدمة يذكرها أهل العلم عند الكلام عن الفراسة، والفراسة ثلاثة أنواع:

١- إيمانية، وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً كان أحد فراسة.

٢- فراسة رياضية، وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاة ونحوهم.

٣- فراسة خلقية، وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخلق على الخُلُق، لما بينهما من الارتباط، الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره على كبره، وسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقه على ضيقه، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه ونحو ذلك[٢].

---

(١) الآداب الشرعية جـ١/ ٧٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٩٨ـــ ٤٩٩، ومدارج السالكين جـ٢/ ٥٠٧-٥٠٨.

وبعد هذه المرويات الضعيفة والموضوعة والتأويلات الباطلة للنصوص الثابتة، يقول الغزالي « فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر»[١].

والخلاصة: أن أدلة الغزالي على علم المكاشفة، ليس فيها ما يدل على مراده، وتنقسم إلى قسمين:

«الأول: أن يستدل على معنى فاسد بأحاديث موضوعة، أو على الأقل منكرة، وذلك لقلة ما عنده من الميراث النبوي...

والثاني: أن يستدل بأحاديث صحيحة، لكنه يؤولها تأويلاً فاسداً، بعيداً عن فحوى الكتاب وخطاب السنة»[٢]، وعلى كل فـ « يعتبر كتاب إحياء علوم الدين الصوفي مرجعاً للأحاديث الكاذبة، - أخرج هذه الأحاديث العراقي - وكذلك تأويل الأحاديث الصحيحة»[٣].

وغالب هذه الأحاديث والآثار نقلها الغزالي عن قوت القلوب لكن رتبها.

***

المطلب الثاني
أمثلة علم المكاشفة عند الغزالي ونقدها

يقول الغزالي: «وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضاً خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم»[٤].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣٠.

(٢) الكشف عن حقيقة كتاب إحياء علوم الدين جـ٢/ ٢٤- ٢٥، وانظر: الاستغاثة في الرد على البكري ص ٣٨٤.

(٣) مجمل عقائد الصوفية ص٥٠٦.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٢٣- ٣١.

أولاً: أمثلة دعوى علم الغيب عند الصحابة ﷺ ونقدها:

١) ذكر الغزالي من المكاشفين أبا بكر الصديق ﷺ يقول: (إن لترك التداوي أسباباً، السبب الأول: أن يكون المريض من المكاشفين، وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن، وتارة بكشف محقق، ويشبه أن يكون ترك الصديق ﷺ التداوي من هذا السبب فإنه كان من المكاشفين، فإنه قال لعائشة ﷺ في أمر الميراث: إنما هن أختاك، وإنما كان لها أخت واحدة، ولكن كانت امرأته حاملا فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضاً بانتهاء أجله)[١]، ذكر هذه الحكاية في مكاشفات المحبين، وفي أمثلة المشاهدة أيضاً[٢].

هذه القصة صحيحة ثابتة، ولفظها عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: (إن أبا بكر الصديق كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إلى غنى بعدي منك ولا أعز علي فقراً بعدي منك، وإني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا فلو كنت جددتيه واحتزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله، قالت عائشة: فقلت: يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية)[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٤/ ٣٥٤.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣١.

(٣) القصة أخرجها الإمام مالك في الموطأجـ٢/ ٧٥٢ برقم ١٤٣٨، (باب ما لا يجوز من النحل)، والبيهقي في سننه جـ٢/ ٤٩٥ رقم: ١٢٨٦٥، قال الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل جـ٦/ ٦١ ـ ٦٢ برقم ١٦١٩: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

والغزالي ترك بعض ألفاظ القصة لتدل على مراده، فلم يذكر لفظة: (أُراها جارية)، بينما نص العلماء على هذه اللفظة، قال اللالكائي: « صدق الله ظن أبي بكر الصديق ﷺ بما قاله وجعل ذلك كرامة له فيما أخبر به قبل ولادتها وأنها أنثى وليست بذكر»[(١)]، وهذه القصة مما لا ينبني عليها حكم؛ ووقوعها على حسب ما أخبروه، هو مما يظن بهم، ولكنهم لا يعاملون أنفسهم إلا بأمر مشترك لجميع الأمة، وهو جواز الخطأ؛ لذلك قال أبوبكر: "أُراها جارية"، فأتى بعبارة الظن التي لا تفيد حكماً فإذا وقع مطابقاً في الوجود، وفرض تحققه بجهة المطابقة أولاً، والاطراد ثانياً؛ فلا يبقى للإخبار به بعد ذلك حكم؛ لأنه قد صار من باب الحكم على الواقع؛ فاستوت الخارقة وغيرها، نعم تفيد الكرامات والخوارق لأصحابها يقيناً، وعلماً بالله تعالى، وقوة فيما هم عليه، وهو غير ما نحن فيه[(٢)].

٢) قال الغزالي: «قال عمر ﷺ في أثناء خطبته: (يا سارية الجبل الجبل)، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك، ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة»[(٣)].

وهذه القصة ثابتة وهي كرامة أكرم الله بها عمر، حيث أنقذ به جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به، وليس فيها ما زعمه المتصوفة من الإطلاع على الغيب، وإنما هو من باب الإلهام، وليس ذلك بغريب عنه، فأنه " محدث " كما ثبت عن النبي ﷺ، ولكن ليس فيه أن عمر كشف له حال الجيش، و أنه رآهم رأي العين، فاستدلال بعض المتصوفة بذلك على ما يزعمونه من الكشف للأولياء و على إمكان اطلاعهم على ما في القلوب من

---

(١) كرامات الأولياء ص١١٧ رقم ٦٣.

(٢) الموافقات جـ٤/ ٤٧٢-٤٧٣، وأصول بلا أصول ص١٨٥-١٨٨.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣٠.

أبطل الباطل[١]، وعبارة: (يا سارية الجبل) لا تفيد حكماً شرعياً، وإذا وقع مطابقاً في الوجود، وفرض تحققه بجهة المطابقة أولاً، والاطراد ثانياً؛ فلا يبقى للإخبار به بعد ذلك حكم؛ لأنه قد صار من باب الحكم على الواقع[٢]، وقد تقدم الكلام عن عمر ﷺ.

٣) قال الغزالي: «وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (دخلت على عثمان ﷺ وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزراً وتأملت محاسنها، فقال عثمان ﷺ لما دخلت: يدخل علي أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه، أما علمت أن زنا العينين النظر لتتوبن أو لأعزرنك، فقلت: أوحي بعد النبي، فقال: لا، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة)»[٣].

ذكر هذه القصة بعض أهل العلم ولم يذكروا لها إسناداً، وجعلوها في فراسة عثمان ﷺ، وبعضهم لم ينسبها لأنس بن مالك، وإنما رويت بالتمريض كما عند الطبري وغيره: (روي أن رجلاً دخل على عثمان ﷺ)[٤].

وعموماً هذه القصص الثلاث عن فراسة الصحابة ﷺ هي فراسة إيمانية، وهي أصدق الفراسة، وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وهذه الفراسة على حسب قوة

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ٣ / ١٠١، قال ابن كثير في البداية في البداية والنهاية جـ٧ / ١٢٤-١٢٥، هذا إسناد جيد حسن " و هو كما قال، ثم ذكر له طرقا أخرى و قال: " فهذه طرق يشد بعضها بعضا"، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ٣/ ١٠١- ١٠٢رقم ١١١٠: وفي هذا نظر، فإن أكثر الطرق المشار إليها مدارها على سيف بن عمر و الواقدي و هما كذابان.

(٢) الموافقات جـ٤/ ٤٧٢-٤٧٣، وأصول بلا أصول ص١٨٥-١٨٨.

(٣) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣٠.

(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة جـ٣/ ٣٦ رقم ١٠٩٦، وقال المحب الطبري: خرجه الملاء في سيرته، ومدارج السالكين جـ٢/ ٥٠٧، والطرق الحكمية ص٣٠.

الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً كان أحد فراسه، وأعظم الصحابة فراسة أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان رضي الله عنهم[١].

وأخبار الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وسادات الأمة بل والولاة في الفراسة كثيرة مشهورة، ولم يزعم أحد منهم أنها مكاشفة وإطلاع على الغيب، واستمرار الوحي[٢].

ثانيًا: أمثلة دعوى علم الغيب عند أعلام الصوفية ونقدها:

حشد الغزالي جملة من دعاوى علم الغيب عن بعض أعلام الصوفية ليستدل بها على حصول المكاشفة لهم وهي على النحو التالي:

٤) «وعن أبي سعيد الخراز قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان، فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كل على الناس، فناداني وقال: (والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)[٣] فاستغفرت الله في سري، فناداني وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى:٢٥] ثم غاب عني ولم أره.

٥) وقال زكريا بن داود: (دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي - وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به - قال: فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل؟، قال: فصاح بي يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى ألطافاً خفية).

٦) وقال أحمد النقيب: دخلت على الشبلي فقال: مفتوناً يا أحمد! فقلت: ما الخبر؟ قال: كنت جالساً لجرى بخاطري أنك بخيل، فقلت: ما أنا بخيل، فعاد مني خاطري، وقال:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٩٨، ومدارج السالكين جـ٢/ ٥٠٦ـ٥٠٧.

(٢) الطرق الحكمية ص٢٤ـ٥٧، ومدارج السالكين جـ٢/ ٥٠٦ـ٥١١.

(٣) ليست آية في القرآن، أما آية سورة البقرة قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة الآية:٢٣٥].

بل أنت بخيل، فقلت: ما فتح اليوم علي بشيء إلا دفعته إلى أول فقير يلقاني، قال: فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون ديناراً، فقال: اجعلها في مصالحك، قال: وقمت فأخذتها وخرجت وإذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الدنانير، فقال: أعطها المزين، فقلت: إن جملتها كذا وكذا، قال: أوليس قد قلنا لك إنك بخيل، قال: فناولتها المزين، فقال المزين: قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجراً، قال: فرميت بها في دجلة، وقلت: ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل.

٧) وقال حمزة بن عبد الله العلوي: دخلت على أبي الخير النيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاماً، فلما خرجت من عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقاً فيه طعام، وقال: يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك[١].

٨) قال بعض العارفين: «كوشفت بأربعين حوراء، رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن، فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوماً، ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال، وقيل لي: انظر إليهن، قال: فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا أنظر إليهن، وقلت: أعوذ بك مما سواك لا حاجة لى بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عنى»[٢].

والرد عليه: هذه الأقوال غايتها نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، فهي منقولات عمن لا يحتج بقوله إما كذباً عليه أو غلط منه[٣]، وفيها مزاعم عن معرفة

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٣/ ٣٠ـ ٣١.

(٢) إحياء علوم الدين جـ٥/ ٨٠.

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري ص ٣٨٤.

الغيب، وزهد غير مشروع، ولبس غير مشروع، وتواكل لا توكل، وفيها أخذ المال من الولاة الظلمة وصرفه في غير وجهه، وإضاعة المال، نعوذ بالله من الخذلان.

وقصص الصوفية كثيرة لا تصح، ويسمونها أحياناً كرامات وأخرى مكاشفة[١] وقد أفرد ابن الجوزي باباً في "تلبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات" قال فيه: «ولقد استغوى الشيطان بعض ضعفاء الزهاد؛ بأن أراه ما يشبه الكرامة «[٢]، وقال: » وقد لبس على قوم من المتأخرين؛ فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم، والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل، فكشف الله ـ تعالى ـ أمرهم بعلماء النقل»[٣]، وذكر بعض هذه الكرامات ثم قال: «هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل»[٤]، وقال: «وقد اندس بين الصوفية أقوام تشبهوا بهم؛ وشطحوا في الكرامات، وادعائها، وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم»[٥]، وقال د.مصطفى حلمي بعد أن ذكر شيئاً من كرامات الصوفية: » وترجع الآفة في كتب التصوف إلى عدم تحرى الدقة في نقل وضبط الأقوال والوقائع المروية«[٦]، وقال الصنعاني: «إن أكثر الكرامات التي شاعت بين العوام، وحازت على عقول الخواص، كذب من العوام الذين هم فتنة دين الإسلام، أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، وهم الهمج الرعاع»[٧].

---

(١) إحياء علوم الدين جـ٥/ ٢٥٩، ٢٦٨، جـ٥/ ٧٨ـ ٨١.

(٢) تلبيس إبليس ص٣٩٠.

(٣) تلبيس إبليس ص٣٩٤.

(٤) تلبيس إبليس ص٣٩٠-٣٩٦.

(٥) تلبيس إبليس ص٣٩٦.

(٦) مع المسلمين الأوائل (العباد الأوائل) ص١١٨.

(٧) الإنصاف في حقيقة الأولياء ص٢٥.

وقد تعاضدت الآيات والأخبار، وتكررت في أنه لا يعلم الغيب إلا الله[١]، فهل نترك هذه النصوص الثابتة لحكايات لا تعرف، والخلاصة: أن الغزالي يجتهد في حشد ما يمكنه من شواهد النقل أو تيسر له من التجارب والمشاهدات والحكايات ليقنع الناس بأن المجاهدات الصوفية والرياضات العملية والعكوف في الخلوة أسباب ظاهرة لتحصيل الولاية التي ينفتح لصاحبها أبواب الغيب، ويفتح له باب في داخل قلبه تنبعث من العلوم والمعارف بدون تعلم[٢].

***

المطلب الثالث
الرد الإجمالي على الغزالي في المكاشفة

أولاً: رد أهل العلم مغالاة الغزالي ومن سبقه في المكاشفة، ولهذا أحرق كتاب الغزالي في المغرب بجامع قرطبة الزين على رؤوس الأشهاد[٣]، وهذه الدعوى من الغزالي أصل باطل لمن جاء بعده من الزنادقة كابن الفارض وابن عربي وغيرهم الذين أفرطوا فيه إفراطاً شديداً، وقد جر هذا المنهج على المسلمين بلاء كبيراً، وهو من أصول الإلحاد، فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة وإلا دخل في الضلالات، ومضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء[٤]، حتى ادعى بعضهم ما هو أعظم من النبوة.

ثانياً: التناقض والتهويل عند الغزالي في علم المكاشفة، فزعم أنه للخاصة وليس للعامة، ويجب المحافظة على سريته، لكن بجمع كلام الغزالي يعرف علم المكاشفة

---

(١) الموافقات جـ٤/ ٤٧٢، وأصول بلا أصول ص١٨٥-١٨٨.

(٢) النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية ص٢٤٨.

(٣) رسالة في حفظ النبوة ورقة ٥٣ أ، ب.

(٤) درء التعارض جـ٥/ ٣٤٨، ومنهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة ص١٠٦.

ومصادره فيه وتعريفه وموضوعاته وأسبابه وأدلته، فالغزالي بمجموع كلامه يوضح علم المكاشفة غاية الوضوح ويدعو الناس لها، ويذكر أنواع هذا العلم، وأدلته وشواهده وأمثلته وغير ذلك، فموضوعات علم المكاشفة الحلول والجبر وكلاهما من البدع المعروفة التي ردها أهل العلم قديماً وحديثاً، وأدلة الغزالي إما أن يستدل على معنى فاسد بأحاديث موضوعة، أو على الأقل منكرة، أو أحاديث صحيحة، لكنه يؤولها تأويلاً فاسداً، وأما أسباب حصول علم المكاشفة فكلها غير مشروعة، ودعوى السرية لأجل التهويل والتفخيم بالباطل على المتلقى، وحمله على القبول به دون مناقشة، بل من خداع الغزالي للقارئ أنه لم يعرف بعلم المكاشفة في كتاب العلم أو في أول الكتاب، وإنما تكلم على علم المكاشفة في مواضع متفرقة من الإحياء، بل يرشد القارئ في النصف الثاني من الكتاب إلى تفريق هذا العلم في كتاب المحبة، وكتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر من الإحياء، والصوفية يذكرون الحلول عند كلامهم عن المحبة.

ثالثاً: علم المكاشفة السري عند الغزالي عرفه الناس وعرفوا مصادره فيه، فقد اتفق الباحثون على أن الغزالي كان تابعاً في آرائه عن النبوة والكشف للفلاسفة خاصة ابن سينا، رغم نقده لهم في بعض كتبه، وبمقارنة كلام الغزالي بأقوال الفلاسفة والصوفية نعرف مصادره، فمنها "الإشارات والتنبيهات" لابن سينا وقوت القلوب لأبي طالب المكي وكلاهما مذموم عند أهل العلم، بل زاد عليهم بأنه التمس لآرائهم مزيداً من الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، مع التعسف والتأويل، مع أنه لم يكن عنده من الميراث النبوي ما تدفع به الشبهات، ومزج الفلسفة بالتصوف مما مهد لمذاهب متفلسفة الصوفية المنحرفة كابن عربي ونحوه.

رابعاً: ليس النزاع مع الغزالي وغيره في وقوع المكاشفة، وإنما النزاع في الاحتجاج به، فإنكار الإلهام على الإطلاق خطأ، وجعله طريقاً شرعياً على الإطلاق خطأ أيضاً، وكذلك

الوحي من حيث العموم غير مختص بالأنبياء، بل قد يكون لغيرهم، لكن الأنبياء يختصون بالعصمة في الوحي، ولذلك كان الوحي إليهم تشريعاً بخلاف الوحي إلى غيرهم، وقد أخبر تعالى في كتابه أنه أوحى إلى غير الأنبياء.

وما يجعله الله في القلوب أنواع فمنه النفساني وهو مشترك بين المسلم والكافر، ومنه الرحماني وهو الذي يكون عن طريق الملك، ومنه الشيطاني وهو ما يحصل عن طريق الجن.

ولذا فحقيقة علم المكاشفة هو محاولة لمعرفة الغيب، من ضمن محاولات الناس لمعرفة الغيب، والتي منها التنجيم وغيره، فإن الإنسان شغل بهذا الأمر منذ قديم الزمان، ولا يعلم الغيب إلا الله، أخفاه الله عن الإنسان لحكمة عظيمة[1].

خامساً: ما يدعيه الغزالي في علم المكاشفة انتقاص من مرتبة النبوة، ويفتح الباب لمزاحمة النبوة في المعارف والمصدر، ودعوة عامة للجميع إلى تسلقها وارتقائها، فهم قادرون في زعمه على الاطلاع على الغيب متى أرادوا، والأنبياء ليس لهم ذلك، وهذا الرأي له خطورته التي قد تفوق خطورة الرأي الباطني القائل بفيضان العلوم الموحاة إلى الإمام المعصوم، حيث إن عدد الأئمة معروف أما عدد الأولياء الذي يتلقون العلوم الكشفية فإنه لا حصر له البتة، والواجب على الغزالي وغيره تعظيم النبوة لا انتقاصها، والرجل كلما عظمت ولايته كان تعظيمه للنبوة أعظم، ولا توجد أي فروق بين أنبياء الله تعالى ورسله وأولياء الصوفية في زعم الغزالي، ومعلوم أن آيات الأنبياء وأخبارهم خارج قدرة الجن والإنس، فلا يشابههم أحد قط في آياتهم، لا ولي ولا غيره، وما يخبر به النبي من الغيب خارج عن قدرة الجن والإنس، فكيف يزعم الغزالي أن المكاشفين يعرفون الغيب بإطلاق!. .

---

(١) دراسات في النبوة والرسالة ص٢٩، ٣١.

سادساً: خطورة نظرية المكاشفة عند الغزالي أنها شجعت التصوف الفلسفي على التطرف والإلحاد والغلو دونما أي حرج، حتى إنه كان من هؤلاء من يطمع في النبوة كالسهروردي المقتول الذي كان يقول: لا أموت حتى يقال لي: "قم فأنذر"، وادعى ابن عربي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وأن الأنبياء جميعهم إنما يستمدون معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء، وزعم ابن عربي النبوة العامة لم تنقطع، وتتابع كثير من أئمة الصوفية في زعمهم أن كتبهم المخالفة للنقل والعقل من الوحي وأنها إما بأمر إلهي، أو بأمر النبي ﷺ وإملائه.

سابعاً: أدلة الغزالي على علم المكاشفة، ليس فيها ما يدل على مراده، وهي إما أن يستدل على معنى فاسد بأحاديث موضوعة، أو على الأقل منكرة، أو يستدل بأحاديث صحيحة، لكنه يؤولها تأويلاً فاسداً، بعيداً عن فحوى الكتاب وخطاب السنة، وكتاب إحياء علوم الدين الصوفي مرجع للأحاديث المكذوبة، وغالب هذه الأحاديث والآثار نقلها عن قوت القلوب لكن رتبها.

ثامناً: أمثلة علم المكاشفة هي بعض قصص فراسة الصحابة رضي الله عنهم، وهي فراسة إيمانية، سببها نور يقذفه الله في قلب عبده، حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً كان أحد فراسه، وأخبار الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وسادات الأمة بل والولاة في الفراسة كثيرة مشهورة، ولم يزعم أحد منهم أنها مكاشفة واطلاع على الغيب، واستمرار الوحي.

وأغلب أمثلة الغزالي لعلم المكاشفة حكايات صوفية، غايتها نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، فهي منقولات عمن لا يحتج بقوله إما كذباً عليه أو غلط منه، وفيها مزاعم باطلة، وقد رد هذه الحكايات كثير من أهل العلم، كابن الجوزي الذي قال ـ بعد ذكر بعض حكايات الصوفية ـ: «هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل»[1].

---

(١) تلبيس إبليس ص٣٩٠-٣٩٦.

تاسعاً: الصحابة هم أولياء الله لا ريب، وأفضل هذه الأمة على الإطلاق، ولم يدّعوا هذا النوع من الكشف أو الوحي المناهض لوحي الأنبياء، الناسخ لما نزل عليهم.

بل كانوا يبكون انقطاع الوحي بعد موته ﷺ، ولو كان شيء من ذلك يحصل لهم لما بكوا عليه، إذ يستحيل أن يكون بكاؤهم على شيء لم يفقدوه!، كما في قصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لما زارا أم أيمن بعد وفاة النبي ﷺ، وقد تقدمت القصة كاملة.

* * * * *

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، أما بعد:

فيمكن تلخيص نتائج بحث "علم المكاشفة في إحياء علوم الدين" من خلال النقاط التالية:

١) الكشف الصحيح: أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ويجرد إرادة القلب له، فيدور معه وجوداً وعدماً، هذا هو التحقيق الصحيح.

٢) يمكن معرفة علم المكاشفة عند الغزالي من خلال أقواله الذي زعم أنه سر، وفرقه في كتابه حتى لا يعرف بسهولة، وهي تؤكد بطلان هذا العلم، وأنه قول بالبدع المعروفة الباطلة، لكن مع التهويل والتعظيم والسرية، كالقول بالحلول والجبر، ومحاولة لمعرفة الغيب، الذي شغل به الإنسان من قديم الزمان.

٣) دعوى الغزالي أن الأولياء طائفة من الناس لهم علم خاص هو علم المكاشفة، وتميز عن بقية الناس، غير صحيح، وما الناس إلا رجلان، فمؤمن تقي مطيع لربه، وفاجر شقي بعيد عن رضوان الله.

٤) علم المكاشفة عند الغزالي فيه انتقاص من مرتبة النبوة، ويفتح الباب لمزاحمة النبوة في المعارف والمصدر، وقد تأثر بالفلاسفة الذين يجعلون النبوة مكتسبة، وهو مثل ما يروى عن ابن عباس ﷺ في زعم المختار أنه أوحي إليه الليلة، فقال ابن عباس: (صدق، هما وحيان: وحي الله، ووحي الشيطان، فوحي الله إلى محمد ﷺ، ووحي الشياطين إلى أوليائهم).

٥) ليس النزاع مع الغزالي وغيره في وقوع المكاشفة، وإنما النزاع في الاحتجاج به، فإنكار الإلهام طريقاً على الإطلاق خطأ، وجعله طريقاً شرعياً على الإطلاق خطأ أيضاً،

فإن الكشف أنواع فمنه النفساني وهو مشترك بين المسلم والكافر، ومنه الرحماني وهو الذي يكون عن طريق الملك، ومنه الشيطاني وهو ما يحصل عن طريق الجن.

٦) أدلة الغزالي على علم المكاشفة، ليس فيها ما يدل على مراده، فهي إما أحاديث موضوعة، أو تأويل فاسد لأحاديث صحيحة، وكذلك أمثلته على علم المكاشفة أغلبها حكايات صوفية، غايتها نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم.

والله تعالى الموفق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

❁❁❁❁❁

فهرس المصادر والمراجع

١. ابن عربي وموقفه من النبوة والأنبياء إعداد عادل العليان، رسالة ماجستير قسم الثقافة الإسلامية جامعة الملك سعود عام ١٤٣١هـ.

٢. أبو حامد الغزالي والتصوف تأليف عبدالرحمن الدمشقية، ط/ الثانية ١٤٠٩هـ، الناشر طيبة – الرياض.

٣. إحياء علوم الدين للغزالي عناية عبدالمعطي قلعجي، ط/ الثانية ٢٠٠٤م، الناشر دار صادر بيروت.

٤. الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي ت/ شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، ط/ الثانية ١٤١٧هـ، الناشر/ مؤسسة الرسالة بيروت.

٥. آراء لأهل المدينة الفاضلة لأبي نصر الفارابي، الناشر/ القدس للدراسات والبحوث .

٦. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل الألباني ط/ الثانية ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي – بيروت.

٧. الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية ت/ د. عبد الله السهلي، ط/ الأولى ١٤٢٦هـ الناشر دار المنهاج الرياض.

٨. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة تأليف ملا على القاري، ت/ د. الصباغ، ط/ الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي بيروت.

٩. الإشارات والتنبيهات لابن سينا، مع شرح الطوسي، ت/ سليمان دنيا، ط/ دار المعارف مصر، لم يذكر تاريخ النشر.

١٠. أصول بلا أصول د. محمد المقدم، ط/ الأولى ١٤٢٩هـ، الناشر/ دار ابن الجوزي القاهرة.

١١. أضواء البيان تأليف محمد الأمين الشنقيطي عناية محمد الخالدي، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢. أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة ومخالفيهم د. سهل العتيبي،، ط/ الأولى ١٤٢٦هـ، الناشر/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٣. الاكتساب للإمام محمد الشيباني ت/ محمود عرنوس، ط/ الأولى ١٤٠٦هـ الناشر دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤. الإنصاف في حقيقة الأولياء تأليف الصنعاني ت/ عبد الرزاق البدر، ط/ الأولى ١٤١٨ الناشر دار ابن عفان – الخبر.

١٥. البداية والنهاية لابن كثير ت/ أحمد فتيح، ط / الأولى ١٤١٣هـ الناشر دار الحديث –القاهرة.

١٦. تأريخ الأدب العربي تأليف بروكلمان، ط/ الثالثة الناشر دار المعارف القاهرة.

١٧. تأريخ التراث العربي تأليف فؤاد سزكين ترجمة د. محمود فهمي وآخرون، ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٨. تذكرة الموضوعات طاهر الفتني الهندي، الناشر/ المطبعة الميمنية.

١٩. التصوف بين الحق والخلق، تألف محمد شقفه، ط/ الثالثة ١٤٠٣هـ الناشر الدار السلفية.

٢٠. تعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروس ملحق بالإحياء، ط/ الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار الهادي- بيروت.

٢١. التعريفات تأليف علي بن محمد الجرجاني، ط/ الثالثة ١٤٠٨هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت. لبنان.

٢٢. تعليق التغليق لابن حجر العسقلاني، ط/ الأولى ١٤٠٥هـ الناشر/ المكتب الإسلامي.

٢٣. تفسير التحرير والتنوير محمد بن الطاهر ابن عاشور ط/ دار سحنون تونس، ولم يذكر تاريخ الطبعة.

٢٤. تفسير القرآن العظيم تأليف ابن كثير، ط/ ١٤٠٣هـ الناشر دار المعرفة. بيروت.

٢٥. تلبيس إبليس لابن الجوزي ت/ أيمن صالح، ط/ الأولى ١٤١٥هـ الناشر دار الحديث –القاهرة.

٢٦. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي ت/ اللويحق، ط/ الأولى ١٤٢٣هـ الناشر مؤسسة الرسالة.

٢٧. جامع الأحاديث القدسية عصام الدين الضباطي، الناشر/ دار الريان القاهرة.

٢٨. جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر الطبري، ط/ الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت. لبنان

٢٩. جامع الترمذي عناية فريق بيت الأفكار الدولية، الناشر بيت الأفكار الدولية الرياض، لم يذكر تاريخ النشر.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط/ دار إحياء التراث العربي- بيروت، لم يذكر تاريخ النشر.

٣١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ت/ د.علي بن حسن وزملاؤه، النشرة الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار العاصمة – الرياض.

٣٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، ط/ الرابعة ١٤٠٥ هـ الناشر دار الكتاب العربي – بيروت.

٣٣. دائرة المعارف الإسلامية (البريطانية) تأليف مجموعة من المستشرقين ترجمها للعربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد، الناشر دار المعرفة بيروت.

٣٤. الدر المنثور السيوطي، ط/ ١٩٩٣م، الناشر/ دار الفكر – بيروت.

٣٥. الإشارات والتنبيهات ابن سينا بشرح الطوسي ت/ د. سليمان دنيا ط/ الثانية ١٩٦٨ الناشر دار المعارف مصر.

٣٦. درء تعارض العقل والنقل تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ت/ د.محمد رشاد سالم، الناشر دار الكنوز الأدبية، لم يذكر تاريخ النشر.

٣٧. دراسات في النبوة والرسالة تأليف د.عبد العزيز العسكر ط/ الأولى ١٤٠٤هـ الناشر مكتبة المعارف – الرياض.

٣٨. مجمل عقائد الصوفية في ميزان أهل السنة د فاروق مصطفى، ط/ الأولى ١٤٢٨هـ، الناشر/ مكتبة عباد الرحمن، ومكتبة العلوم والحكم.

٣٩. دفع الشبهة والغرر للشيخ مرعي الحنبلي ت/ عبد الله الغفيلي، ط/ الأولى ١٤١٩هـ الناشر دار المسير – الرياض.

٤٠. رسالة في حفظ النبوة للزبيدي مخطوط محفوظ في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١١٤١ مصور من برستون.

٤١. رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي جمع د. موسى الدويش، ط/ الأولى١٤١٠هـ ولم يذكر الناشر.

٤٢. الرياض النضرة في مناقب العشرة المحب الطبري عناية عبدالمجيد الحلبي، ط/ الأولى ١٤١٨هـ، الناشر دار المعرفة بيروت.

٤٣. زاد المعاد إلى هدي خير العباد لابن القيم،ت/ شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، ط/ ٢٥ ١٤١٢هـ، الناشر مؤسسة الرسالة-بيروت.

٤٤. الزهد للإمام أحمد بن حنبل، ط/ الأولى ١٤٠٨هـ الناشر/ دار الريان القاهرة.

٤٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة الألباني، ط/ الرابعة ١٤٠٥هـ الناشر المكتب الإسلامي –بيروت.

٤٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني، ط/ الرابعة ١٤٠٨هـ الناشر مكتبة المعارف –الرياض.

٤٧. سنن ابن ماجه عناية فريق بيت الأفكار الدولية، الناشر بيت الأفكار الدولية الرياض، لم يذكر تاريخ النشر.

٤٨. سنن أبي دواد عناية فريق بيت الأفكار الدولية، الناشر بيت الأفكار الدولية الرياض.

٤٩. السنن الكبرى البيهقي، وبذيله الجوهر النقي، ط/ الأولى ١٣٤٤هـ، الناشر/ مجلس دائرة المعارف النظامية الهند ببلدة حيدر آباد.

٥٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللآلكائي ت/ د.أحمد بن حمدان، ط/ الرابعة ١٤١٦هـ الناشر دار طيبة – الرياض.

٥١. شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، ضمن الفتاوى الكبرى جـ٥، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ الناشر دار القلم بيروت.

٥٢. شرح العقيدة الطحاوية تأليف ابن أبي العز الحنفي، ط/ الثامنة ١٤٠٤هـ الناشر المكتب الأسلامي بيروت.

٥٣. شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم عناية/ مصطفى أبو النصر الشلبي، ط/ الأولى ١٤١٢هـ الناشر مكتبة السوادي –جدة، المملكة.

٥٤. صحيح ابن حبان ت/ شعيب الأرناؤوط، ط/ ١٤١٤هـ، الناشر مؤسسة الرسالة.

٥٥. صحيح الإمام البخاري ت/ محمد القطب، ط/ ١٤١١هـ الناشر المكتبة العصرية بيروت لبنان.

٥٦. صحيح الإمام مسلم ترقيم وعناية/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ ١٤١٣هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

٥٧. صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني عناية/ زهير الشاويش أ ط / الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي - بيروت.

٥٨. الصفدية تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ت / د. محمد رشاد سالم، ط/ مكتبة ابن تيمية.

٥٩. الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد للشوكاني ت/ المدخلي، ط/ الأولى ١٤١٤هـ.

٦٠. الطريق إلى العلم عمرو سليم، ط/ دار الضياء طنطا ـ مصر، لم يذكر تاريخ النشر.

٦١. العقل وفهم القرآن تأليف الحارث المحاسبي ت/ حسين القوتلي، ط/ دار الفكر ودار الكندى.

٦٢. الغزالي تأليف د.أحمد الشرباصي، ط/ دار الجيل – بيروت.

٦٣. فتاوى الإمام النووي، ط/ دار الكتب العلمية- بيروت.

٦٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، ط/ الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٥. فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة صديق حسن القنوجي، ط/ عبد الله الأنصاري ١٤١٢هـ الناشر المكتبة العصرية – لبنان.

٦٦. الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني تأليف محمد عبدالله التجاني، ط/ المكتبة الثقافية بيروت.

٦٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير الشوكاني، عناية الغوش، ط/ الثالثة ١٤١٧ هـ الناشر دار المعرفة بيروت.

٦٨. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ت/ د. عبد الرحمن اليحي، ط/ الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار طويق –الرياض.

٦٩. فصوص الحكم لابن عربي تعليق د. عفيفي، ط/ دار الكتاب العربي– بيروت.

٧٠. القضاء والقدر تأليف د. عبد الرحمن المحمود، ط/ الأولى ١٤١٤هـ الناشر دار النشر الدولي الرياض.

٧١. القضاء والقدر تأليف د.عمر الأشقر، ط/ الثالثة ١٤١٥هـ الناشر دار النفائس – الأردن.

٧٢. القضاء والقدر في الإسلام تأليف د. فاروق الدسوقي، ط/ الثانية ١٤٠٦هـ الناشر المكتب الإسلامي- بيروت، ومكتبة الخاني- الرياض.

٧٣. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد لأبي طالب المكي، ط/ باسل عيون السود، ط/ الأولى ١٤١٧هـ الناشر دار الكتب العلمية بيروت.

٧٤. كرامات أولياء الله عز وجل اللالكائي، ت/ د أحمد حمدان، ط/ الأولى ١٤١٢هـ، الناشر/ دار طيبة – الرياض.

٧٥. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، الناشر/ دار إحياء التراث العربي.

٧٦. كشف المحجوب للهجويري دراسة وترجمة د. إسعاد عبد الهادي قنديل راجعه د. أمين عبد المجيد بدوي، ط/ ١٩٨٠م الناشر دار النهضة العربية – بيروت.

٧٧. الكشف عن حقيقة كتاب إحياء علوم الدين صلاح الدين الطوخي وآخرون، لم تذكر معلومات الطبعة.

٧٨. الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية تأليف الجيلي، ت/ سعيد عبد الفتاح ط/ عالم الفكر القاهرة.

٧٩. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة السيوطي، ط/ الثالثة ١٤٠١هـ الناشر دار المعرفة – بيروت – لبنان.

٨٠. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ت/ المعلمي تصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، ط/ ١٤١٦هـ الناشر دار الكتب العلمية – بيروت.

٨١. لسان العرب تأليف ابن منظور، ط/ الأولى ١٤١٠هـ الناشر دار الفكر.

٨٢. اللمع لأبي نصر السراج ت/ د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي، ط/ ١٣٨٠هـ الناشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد.

٨٣. مجمع الزوائد الهيثمي، ط/ ١٤٠٤هـ، الناشر دار الفكر.

٨٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط/ دار عالم الكتب ١٤١٢هـ الرياض.

٨٥. مدارج السالكين لابن القيم، ط/ دار الكتب العلمية -بيروت.

٨٦. المسند للإمام أحمد ت/ شعيب الأرنؤوط ط/ الأولى ١٤١٨هـ الناشر مؤسسة الرسالة – بيروت

٨٧. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، تأليف صادق سليم صادق، ط/ الأولى ١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد – الرياض.

٨٨. المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر ابن أبي شيبة ت/ كمال يوسف الحوت، ط/ الأولى ١٤٠٩، الناشر مكتبة الرشد – الرياض.

٨٩. مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية تأليف إدريس محمود إدريس أط/ الأولى ١٤١٩هـ، الناشر مكتبة الرشد –الرياض.

٩٠. مع المسلمين الأوائل (العباد الأوائل) تأليف د.مصطفى حلمي، ط/ الثانية ١٤٠٩هـ الناشر دار الدعوة – الاسكندرية.

٩١. المعجم الكبير للطبراني ت/ حمدي السلفي، ط/ الثانية ١٤٠٤ هـ، الناشر/ مكتبة العلوم والحكم –الموصل.

٩٢. معجم مصطلحات الصوفية د. عبد المنعم الحفني، ط/ الأولى ١٤٠٠هـ الناشر دار المسيرة بيروت.

٩٣. المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها د عبدالله القرني، ط/ الأولى ١٤١٩هـ، الناشر/ دار عالم الفوائد مكة.

٩٤. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للحافظ العراقي إعداد أشرف عبدالمقصود، ط/ الأولى ١٤١٥هـ، الناشر/ مكتبة طبرية الرياض.

٩٥. مفتاح دار السعادة لابن القيم، ط/ عصام الدين الصبابطي، لم يذكر تاريخ النشر أو الناشر.

٩٦. مقارنة بين الغزالي وابن تيمية د. محمد رشاد سالم، ط/ ١٤١٣هـ، الناشر دار القلم الكويت.

٩٧. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ت/ محمد الخشت، ط/ الثانية ١٤١٤هـ، الناشر دار الكتاب العربي –بيروت.

٩٨. من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة د. محمد الجليند، ط/ الثالثة ١٤١٠هـ الناشر دار اللواء الرياض.

٩٩. منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية ت/ د. محمد رشاد سالم، ط/ الأولى الناشر مؤسسة قرطبة.

١٠٠. منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة الصوفيان، ط/ الثانية ١٩٩٩م، الناشر/ المنتدى الإسلامي.

١٠١. الموافقات للشاطبي ت/ مشهور آل سلمان، ط/ الأولى ١٤١٧هـ، الناشر/ دار عفان الخبر.

١٠٢. الموسوعة الصوفية تأليف د. عبد المنعم الحفني، ط / الأولى ١٤١٢هـ الناشر دار الرشاد القاهرة.

١٠٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/ الثانية ١٤٠٩هـ.

١٠٤. موطأ الإمام مالك، ت/ محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر/ دار إحياء التراث العربي – مصر.

١٠٥. موقف ابن تيمية من الأشاعرة تأليف د. عبد الرحمن المحمود، ط/ الأولى١٤١٥هـ الناشر مكتبة الرشد الرياض.

١٠٦. ميزان العمل للغزالي، ط/ ١٤٠٣ هـ الناشر دار الكتاب العربي بيروت.

١٠٧. النبوات لابن تيمية، ط/ ١٤٠٥هـ الناشر دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٨. النبوة والرسالة بين الإمامين الغزالي وابن تيمية محمد ولد الداه، ط/ الأولى ١٤٢٥هـ، الناشر/ دار طوق النجاة بيروت.

109. http://alshazlia.net/vb/showthread.php?t=18
110. http://www.haldun.org/13-categorie-1121271.html
111. http://www.mekkaoui.net/MaktabaIslamya/Islam/3olomDinne/039.htm.
112. http://www.rubat.com/phpbb/viewtopic.php?p=40729

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥
تمهيد ٩
التعريف بالغزالي ٩
التعريف بكتاب إحياء علوم الدين ١٠
التعريف بالمكاشفة ١٢
أقسام العلوم عند الغزالي ١٥
نقد تقسيم الغزالي للعلوم ١٦
تعريف علم المكاشفة عند الغزالي ١٩
نقد تعريف علم المكاشفة عند الغزالي ٢٣
أهم موضوعات علم المكاشفة عند الغزالي ٣٢
التوحيد سر في علم المكاشفة عند الغزالي ٣٢
سر القدر من علم المكاشفة عند الغزالي ٣٧
سر القلب والروح من علم المكاشفة عند الغزالي ٤٢
علم المكاشفة والنبوة عند الغزالي ٤٥
التشابه بين المكاشف والنبي عند الغزالي ٤٥
الوحي للمكاشفين عند الغزالي ٤٧
نقد أقوال الغزالي في التسوية بين المكاشفة والنبوة ٥١
أدلة علم المكاشفة وأمثلته عند الغزالي ٥٩
أدلة علم المكاشفة من القرآن الكريم عند الغزالي ونقدها ٥٩

أدلة علم المكاشفة من السنة النبوية عند الغزالي ونقدها ٦٦
أدلة علم المكاشفة من أقوال السلف عند الغزالي ونقدها ٧٠
أمثلة علم المكاشفة عند الغزالي ونقدها ٧٣
أمثلة دعوى علم الغيب عند الصحابة ﷺ ونقدها ٧٤
أمثلة دعوى علم الغيب عند اعلام الصوفية ونقدها ٧٧
الرد الإجمالي على الغزالي في المكاشفة ٨٠
الخاتمة ٨٥
فهرس المصادر والمراجع ٨٧
فهرس الموضوعات ٩٥

* * * * *